محمد محمود الصواف

زوجات النبى الطاهرات وحكمة تعددهن

دار الاعتصام

كتب للمؤلف

القرآن أنواره أوصافه ، فضائله ، ختمه

ام القرآن وخير ثلاث سور أنزلت

نظرات في سورة الحجرات

عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور

معركة الاسلام أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم .

المسلمون وعلم الفلك

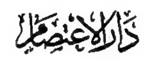
زوجات النبي ﷺ وحكمة تعددهم

تعليم الصلاة

ملتزم التوزيع الشركة المتحدة للتوزيع بيروت ص.ب ١١٧٤٦٠
مكتبة الارشاد جدة ص.ب ١١٢٧

محمد محمود الصواف





بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى

روح سيدنا ، وحبيبنا ، وشفيعنا ، وقائدنا ، وزعيمنا وامامنا ، وهادينا ، ونبينا ، ورسولنا ، حبيب الله وصفيه ورسوله الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم .

والى

أرواح أزواج النبى الطـــاهرات ، اللواتى زكاهن الله ، وطهرهن ، ورضى عنهن ، وأرضاهن ، فاكرمهن ، ونعمهن ، وجعل الجنة ماواهن .

الى روحه صلى الله عليه وسلم الطاهرة العالية الخالدة فى جنة الفردوس ، والى أرواح أزواجه أمهات المؤمنين أهدى هذا المختصر ، راجيا من الله القبول ، والله حسبى ونعم الوكيل .

محمد محمود الصواف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين . وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله المبعوث رحمة للعالمين « محمد » وعلى آله وأزواجه وصحابته الطيبين الطاهرين ، ومن دعا بدعوته ونهج نهجه ـ وسلك سبيله الى يوم الدين وبعد :

فهذا كتاب « زوجات النبى الطاهرات » أقدمه للقراء فى طبعته الثالثة وثوبه الجديد . راجيا أن ينال من الرضا والقبول ما ناله طبعته الاولى والثانية ، عند خروجها للناس وكنت شاكرا لله فضله ، وراغبا أشد الرغبة فى تجديد طبعه مرات ومرات ، ولعل الله أن ينفع به لاهمية موضوعه : وهو وان كان صغيرا حجمه ، فانه عظيم أثره ، وكبير خطره . خاصة وهو يعالج موضوعا دقيقا طالما ولغ فيه أعداء الاسلام ، وحاولوا أن ينفذوا منه للنيل من الاسلام ونبى الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

ولولا جهل كثير من المسلمين بمثل هـذا الموضوع . لمـا استطاع عدو مكابر أن ينبس ببنت شفة فى تعدد زوجات النبى الطاهرات ، ذلك التعـدد الذى اختص الله به نبيه محمـدا صلى الله عليه وسلم ، والذى يعتبر بحق مصـدر فخر ، وحكمة ، ورحمة عالية ، وانسانية رفيعة سامية لهذا الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فاقرأوا سبب التعدد ، لتعلموا بعـده حكمة التعدد ، وفلسفة التعدد ، وجمال التعـدد . وستردون بعده على أعداء الله المبطلين ، وأعداء الاسلام الحاقدين الذين يدسون على الاسلام بانتقاص نبى الاسلام فى موضوع يعتبر مفخرة عظمى من مفاخر وعظمـة وانسانية هـذا الرسول الأمين الرحيم الكريم صلى الله عليه وسلم .

انه الجهل الاعمى تصحبه الأغراض الخبيثة التى تعمى وتصم ، تجعل صاحبها يتخبط ويتشحط فى أنفاس دنسـه ينفث فيها السم ، ويفترى الكذب على أكرم رسل الله ، وخير خلقه أجمعين وسيد أنبياء الله عليه وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم .

واريد هنا أن أسأل هؤلاء الاعداء المرجفين الذين طعنوا فى ذات الرسـول الشريفة وظنوا خطـأ وأفـكا وزورا ، وبهتانا وضـلالا : ان الرسول صلى الله عليه وسلم انما تزوج من تزوج من النسـاء ، اجابة لداعى الهـوى أو اشباعا للشهوة .

أسائل هؤلاء المغرضين : متى يكون داعى الهوى قويا ؟

ومتى يكون عنفوان الشهوة وشدتها ؟ أليس فى عهد الصبا والشباب ؟ وليس فى عهد الكهولة والشيخوخة . وهـذا مالا يختلف فيه أحد والرسول عليه الصلاة والسلام ما لامست يده امرأة لا تحل له فى عهد الصبا والشباب ، وقد عرف بالعفة والامانة والصدق والشرف والاستعلاء حتى عن مصافحة النساء . حتى قال عليه الصلاة والسلام : انى لا أصافح النساء .

وتزوج عليه الصلاة والسلام خديجة الكبرى وهو فى عنفوان وعزة شبابه اذ كان عمره الشريف الخامسة والعشرين . وخديجة رضى الله عنها أرملة ليست بالبكر ، وكهلة وليست بالشابة اذ كانت قد بلغت الاربعين من عمرها الشريف ، ومع هذا الفارق فقد تزوجها صلى الله عليه وسلم وسعد بها ، وكانا أسعد وأكرم زوجين فى الوجود . وقد أمضى معها زهرة شبابه ، وصفوة عمره ، ولم يتزوج بغيرها قبل موتها رضى الله عنها وارضاها . وكانت ساعده الأيمن وعضده فى الدعوة والثبات والجهاد .

ولم يبدأ بالزواج عليه الصلاة والسلام الا بعد أن أصبح الزواج ضرورة من ضروريات الدعوة . وذلك بعد هجرته الى المدينة المنورة . وقد بلغت سنه الشريفة الثالثة والخمسين . وسن الشيخوخة عند الفقهاء تبدأ منذ الخمسين . ومعني هذا : أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبدأ بالزواج الا ببداية سن الشيخوخة عنده ، وهل هذه السن مجلبة لداعي الهوى والشهوة كما يزعم أعداء الاسلام، أم هى الحكمة والرحمة والانسانية العليا ؟ !

أن الرسول الامين عليه الصلاة والسلام لم يكن بحاجة

لان يتزوج بمن تزوج من النســاء بعد خديجة الكبرى لولا حرصه على الدعوة الاسلامية . وقد رغبه هذا الحرص في مصاهرة من تقوى بهم شوكته ، ويشتد بهم ازره ، خاصة بعد أن فقد عمــه وزوجته . وهما الركنان العظيمان من اركان نصرته وتاييده وتدعيمه . هذا من جهة ومن جهة أخرى عطفه وحنانه ورحمته باللائى تزوج بهن من الارامل الثيبات اللواتي تزوجهن بعد أن تركهن أزواجهن من غير ناصر ولامعين ولو كان للهوى والشهوة سلطان على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم لاتخذ من الزوجات من شاء قبل النبوة . وهو في أول شبابه واستكمال قواه ، لا شرع يحول بينه وبين بغيته ، ولا عادة تمنعه من قضاء مآربه وتمتعه بلذائذ الحياة ومتع الدنيا ، ولاسيما وقد كان مرغوبا فيه بين الناس لمـا اشتهر به من مكارم الاخلاق وحميد الفعال والخصال ورائق الجمال ، وكمال القوة والفتوة ولكنه صلوات الله وسلامه عليه لم يفعل ذلك ، ولم يتزوج قبل النبوة من شــاء من النساء . وهو في عنفوان شــبابه والعرب كانت تكثر من الزوجات حتى ان منهم من كانت عنــده العشر والعشرون امرأة في وقت واحد فلم يتزوج بغير خديجة قبل الاسلام وقد قضى معها شبيبته وطائفة من كهولته اذ كانت همة الرسول عليه الصلاة والسلام منصرفة الى نصرة الدعوة وقد بذل كل شيء في سبيل الدعوة الى الله ، وتجرد من الدنيا وما فيها لهذه الغاية السامية ، وسلك كل سهل لتقدمها ونشرها بين الانام . وان عمله هذا وتزوجه بهاته النســوة بعد الهجرة المباركة كان من هذه الاسباب التى وطدت اركان الاسلام ، وثبتت دعائمه ، واظهرت للمنصفين عظمة هــذا الرســول الامين ومبلغ عطفه وبعــد نظره وعظيم رحمته بالمؤمنين والمؤمنات .

ولم يتزوج عليه الصلاة والسلام بامرأة بكر سوى عائشة الصديقة بنت الصديق رضى الله عنها وارضاها . وجميع من تزوجهن غيرها كن ثيبات وعوانس وأرامل وعجائز بعرف الناس ، ولكن أهداف النبى صلى الله عليه وسلم تختلف كل الاختلاف عن أهداف الناس واعراف الناس فلم يلتفت الى سن ولا الى جمال ولا الى مال ولكنها الرحمة العليا والاهداف السامية التى جعلت من هـذا الزواج بركة على الاسـلام وفتحت آفاقا فسيحة للدعوة المباركة التى وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيـاته وما يملك وجـاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين .. وسيجد القارىء الكريم فى هذا الكتيب ملامح من عظمة الرسول فى جانب من جوانبها التى لا تحد آفاقها الفسيحة حدود ولا سدود . هذا الجانب هو : زوجات النبى الطاهرات وحكمة تعددهن .

وانني اذ اقدم هذا الكتيب للقراء ارجو الله ان ينفع به ويجعله خالصـا لوجهه الكريم وأن يبصر المسـلمين بحقائق الاسلام الناصعة البيضاء . وأن يرد كيد اعدائنا فى نحورهم ، ويحفظنا من شرورهم . انه تبارك وتعالى نعم المولى ونعم النصير والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على الرحمة المهداة ((محمد)) سيد الهداة وامام الدعاة والرعاة . وقائد الغر المحجلين الى الجنات المعروشات جعلنا الله واياكم من أتباعه وأعوانه وانصاره ومؤازرى دعوته وناشرى شريعته والحمد لله أولا وآخرا فى البدء والختام .

محمد محمود الصواف

القـــــــــــــاهرة
رمضان سنة ١٣٩٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أحمده وأشكره ، واستغفره ، واستهديه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ، ودين الحق ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين وبعـد :

فقد طلب الى البعض ممن يغارون على الاسـلام ونبى الاسـلام عليه أفضل الصـلاة والسـلام ، أن أتكلم عن زوجات الرسـول الرحيم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وأسباب تعددهن ، والحكمة فى هذا التعدد . وما كان لى أن أرد هذا الطلب الكريم وهو بصدد الدفاع عن الاسلام

العظيم ونبى الاسلام الأعظم ، الذى شرفنا الله بالانتساب اليــه ، وأكرمنا باتباع هذا الرسول الامين ، عليه أفضل الصــلاه والتسليم ، والذى نرجوه من ربنا عز وجل ، ان يزكينا بالصلاة على نبيه الاعظم ، وأن يحشرنا فى زمرته ، ويوردنا حوضه فى جنة الخلد . وتلك النعمة الكبرى ، والمنة العظمى التى تتلهف لها أنفس المؤمنين ، وتهفو لها قلوب الصالحين ، وتشتاقها أرواح المجــاهدين ، وهانذا اقــدم بين يدى القراء الكرام هذه الرسالة المختصرة ، راجيا من الشــباب والشــبات أن يمعنوا النظر فيها ، ويحفظوا خلاصتها ، ليردوا كيد الكائدين فى نحورهم ، ويمنعوا هجمات أعداء الاسلام المنظمة على الاسلام ونبى الاسلام ، فيصونوا كرامة دينهم الخالد ، الذى بنى لهم مجدا وعزا ، وكان غرة بيضاء فى جبين الانسانية الضالة ، وسراجا وهاجا يضىء لها السبيل ، أسأل الله أن يهدينا الى الحق ويوفقنا لاتباعه وأن يرينا الباطل باطلا ويوفقنا لاجتنابه ، انه تعالى نعم الهادى ، الى سواء السبيل ، والحمد لله رب العالمين .

محمد محمود الصواف



كلمــة عامــة

" فى حكمة تعدد أزواج النبى الطاهرات "

لقد احببت ان افرد لهذا الطلب رسالة خاصة ، على الرغم من كثرة من الف وكتب فى هذا الموضوع . ولكنه موزع هنا وهناك وليس من الميسور الاطلاع عليه ، خاصة للشباب المثقف الناشىء فافردت هذه الرسالة لتكون بين أيدى الناس ، ليطلعوا على هذا الموضــوع الجليل الذى طالما تساءل عنه السائلون ، وارجف فيه المرجفون . فاهتدى فيه من اهتدى الى الحق والصواب ، وضل فيه من ضل ممن أعمى الجهل أو التعصب أبصارهم ، وبصـــائرهم وبلغ ببعضهم الحقــد والحسد والكيد للاســـلام ، ان طعنوا فى ذات الرســـول الشريفة ، وظنوا خطأ ، وافكا ، وزورا ، وبهتانا ، وضلالا . « ان الرســـول صلى الله عليــه وسلم تزوج من تزوج من النساء ، اجابة لداعى الهوى ، أو اشباعا للشهوة » . وما علموا أن الرسول الامين والنبى الكريم ، قد بذل كل شىء فى سبيل الدعـــوة الى الله ، وتجرد من الدنيـــا وما فيهـــا لهذه الغاية السامية ، وسلك كل سبيل لتقدمها ونشرها بين الانام . وان عمله هذا وتزوجه بهاته النسوة ، كان من هذه

الاسباب التى وطدت أركان الاسـلام ، وثبتت دعائمه ، واظهرت للناس المقسطين المنصفين ، عظمة هذا الرسول الامين ، ومبلغ عطفه ، وثاقب نظره ، وعظيم رحمته بالمؤمنين والمؤمنات .

فما كان بالرسول حاجة لان يتزوج بمن تزوج من النساء بعد خديجة الكبرى ، وقد امضى معها زهرة شبابه ، وصفوة عمره ، لولا حرصه صلى الله عليه وسلم على الدعـوة الاسلامية .

وقد رغبه هذا الحرص فى مصاهرة من تقوى بهم شوكته ، ويشتد بهم ازره ، بعد أن فقد عمه وزوجته ، وهما الركنان العظيمان ، من اركان نصرته وتأييده وتدعيمه ، وتقويته . هذا من جهة ومن جهة أخرى ، عطفه وحنانه ، ورحمته ، باللائى تزوج بهن من الارامل الثيبات اللواتى تزوجهن بعد أن تركهن ازواجهن من غير ناصر ولا معين .

ولو كان للهوى والشهوة سلطان من قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام لاتخذ من الزوجات من شاء قبل النبوة ، وهو فى أول شبابه واستكمال قواه ، لاشرع يحول بينه وبين بغيته ، ولا عادة تمنعه من قضـاء مآربه ، وتمتعه بلذائذ الحياة ومتع الدنيا ولا سيما ، وقد كان مرغوبا فيه بين الناس لما اشتهر به من مكارم الاخلاق وحميد الفعال ، والخصال ، وزائق الجمال ، وكمال القوة والفتوة ، ولكنه صلوات الله وسلامه عليه لم يفعل ذلك ولم يتزوج قبل النبوة من شاء من النساء وهو فى عنفوان شبابه ، والعرب كانت تكثر من الزوجات حتى ان منهم من كان تحته العشر ، والعشرون امرأة فى وقت واحد .

فلم يتزوج عليه الصلاة والسلام بغير خديجة قبل الاسلام ، وقد قضى معها شبيبته وطائفة من كهولته ، وبعد ان ماتت خديجة رضى الله عنها قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وقد مكث معها خمسا وعشرين سنة ، بدأ بعدها بحياة اخرى مع زوجات اخريات . ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم فى زواجه هذا بدعا من الرسل ، حتى يقول المغرضون المنافقون : « ان منزلة النبوة التى دعا اليها محمد كان يجب ان تحول بينه وبين الاكثار من عدد الزوجات » . نعم لم يكن هو الوحيد الذى تزوج من بين الرسل ، فغيره من الرسل قد تزوج ، ولا بأس عليهم فى ذلك صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فتلك سنة الله فى خلقه .

واماما الرسولان الكريمان داود وسليمان عليهما السلام فقد تزوجا كثيرا من النساء ، ولا يسع عاقلا من العقلاء انكار نبوتهما وشريعتهما وما اتيا به ، من الصحف السماوية المنزلة .

ومنزلة النبوة التى دعا اليها الرسول الرحيم لا يجوز ان تحول بينه وبين الاكثار من عدد الزوجات . بل قد تدعوه الى الاكثار من عدد الزوجات لان الدعوة الى شىء تحتاج الى التبليغ وتدعو الى الاكثار من الدعاة ، لنشرها بين الناس . وهكذا شأن كل دعوة تريد البقاء والخلود والذيوع بين الملا فكلما كثر الدعاة وزادوا ، زاد الاقبال على الدعوة وعظم امرها وشاع ذكرها ، وتضاعف ناصروها ومؤيدوها ، خاصة الدعوات الصادقة التى تحمل معها عناصر خلودها وبقائها . كالدعوة الاسلامية المباركة التى جاء بها الرسول الامين من ربه .

ومن لوازم صاحب الدعـوة الاول المضطلع بدعوته ، المخلص لها والمتفانى فى سبيلها ، أن يتالف الناس ويتصل بهم ، ويسلك السبل التى تقربه منهم ، ليجد طريقا لدعوته الى قلوبهم ، ولا اتصـال اقوى من اتصـال المصـاهرة والنسب .

فكل امراة يتزوجها يتالف بها اهلها وعشيرتها وقبيلتها ، فكانت المراة تعدل المئات من الرجال .

وجريا على هذه السنة سار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتالف اقواما بزواجه ببعض النساء . ودفع عنه اذى اقوام بتزوج الاخريات ، وانقذ البعض منهن من الهلاك بزواجه بهن وجزاهن على الاسلام خير الجزاء ، فصرن أمهـات المؤمنين ولو تركهن الرسـول لوقعن فى شرك المشركين .

واراد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا وذاك — والله أعلم بما أراد — ان يجعل من كل واحدة منهن داعية الى الاسلام ، ومدرسة قائمة بذاتها ، تعلم الناس وتفتيهم فى أمور دينهم ، وتبين لهم الحلال والحرام .

فبيوت النبى لم تكن الا مدارس للمؤمنين والمؤمنات ، تهذب ، وتعلم ، وتبين للناس ما يجب أن يعلموه عن رسولهم فى شانه كله .

وكانت بيوت النبى صلى الله عليـه وسـلم مفتوحة للماثلات وبعض السائلين من ذوى قربى نساء النبى .

وما احوج المسلمين آنذاك الى مثل هذه المدارس ، والدين طرى ، والدعوة الاسلامية جديدة على الناس ، وان كان أصلها ثابتا فى قلوب المؤمنين والمؤمنات . وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها .

وخلاصة القول ان امهات المؤمنين الطـاهرات التسع اللائى توفى عنهن رسول الله صلى الله عليه وسلم كن معلمات ومهذبات ومصلحات ومفتيات لنســاء الامة الاســلامية ، ولرجالها فى القضايا النسـائية والاحــكام الشرعية والآداب الزوجية والحكم النبوية ، وكن قدوة صالحة فى الخير وعمل البر والاحسان كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى فى حسن الخلق وطيب العشرة مع نسائه . فقــد عاشرهن بالمعروف ، وعدل بينهن وعلمهن الاحكام الشرعية الخاصة بالنساء ، وسياسة النبى صلى الله عليه وسلم فى تعدد النساء هي السياسة الرشيدة التى اقتضتها ظروف الدعوة الاسلامية .

ومن الصعب او المستحيل أن تقوم زوجة واحــدة أو زوجتان ، بالاعباء الجسام التى اضطلع بالقيام بها تســع نسوة مؤمنات ، عابدات خاشعات ، وما حفظنه من احكام الشريعة ، لا يمكن أن تستوعبه امراة واحدة حفظا ودراية ورواية مهما أوتيت من قوة الحافظة وفرط الذكاء .

وقــد روى عن زوجات النبى الطاهرات رجــال كثير ونســـاء ، فى مختلف الاحــكام الشرعية ، خاصة القضايا النسائية وكتب الحديث شاهدة بذلك .

ولعل فى هذا القدر كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ، والله الهادى الى سواء السبيل .

مجموع أمهات المؤمنين

١ ـ « **خديجة الكبرى** » رضى الله عنها .
تزوجها النبى وعمرها أربعون سنة .

٢ ـ « **سودة بنت زمعة** » رضى الله عنها .
وهى أرملة السكران بن عمرو .

٣ ـ « **عائشة بنت أبى بكر** » رضى الله عنها .
وهى البكر الوحيدة التى تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ ـ « **حفصة بنت عمر بن الخطاب** » رضى الله عنها .
وهى أرملة « شهيد بدر » خنيس بن حذافة .

٥ ـ « **زينب بنت جحش** » رضى الله عنها
وهى ابنة عمة النبى ومطلقة زيد بن حارثة .

٦ ـ « **زينب بنت خزيمة** » رضى الله عنها . .
وهى أرملة « شهيد بدر » عبيدة بن الحارث .

٧ — « **ام سلمة هند بنت امية** » رضى الله عنها .
وهى أرملة « شهيد أحد » عبدالله بن عبد الاسد .

٨ — « **ام حبيبة زملة بنت ابى سفيان** » رضى الله عنها .
وهى أرملة عبيد الله بن جحش .

٩ — « **ميمونة بنت الحارث الهلالية** » رضى الله عنها .
وهىخالة خالد بن الوليد وخالة عبدالله بن عباس.

١٠— « **جويرية بنت الحارث** » رضى الله عنها .
وهى أرملة مسافع بن صفوان المصطلقى .

١١— « **صفية بنت حيى بن اخطب** » رضى الله عنها .
وهى أرملة كنانة ابن أبى الحقيق .



خديجة الكبرى رضى الله عنها

رضى الله عن الطاهرة ، ام المؤمنين وزوجة سيد المرسلين .

لقد كانت اعقل العقائل ، وفضلى الفواضل ، حتى كانوا يلقبونها من عهد الجاهلية « بالطاهرة » .

آمنت بالرسول اذ كفر به الناس وصدقته اذ كذبه الناس ، وواسته بمالها يوم حرمه الناس .

عاشت مع الرسول صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة قبل البعثة ، وعشرا بعدها ، فكانت خير مثل للمرأة الكاملة .

تزوجها رسول الله الكريم فى أول شبابه وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وهى ثيب بنت أربعين سنة .

وكان صداقها عشرين بكرة من الابل ولفراستها بالرجال وثاقب نظرها كانت هى التى خطبت النبى صلى الله عليه وسلم لنفسها لما سمعت ورأت من أمانته ، واستقامته

وصـــدقه ووفائه وحسن أدبه ، وطيبه ، عليـــه الصـــلاة والسلام . فأرسلت اليه بعد أن عاد من الشام من تجارة لها مع غلامها « ميسرة » وقالت له : « يا ابن عمى انى قد رغبت فيك لقرابتك ، وامانتك ، وصدق حديثك » .

هذه المرأة المحترمة تخطب الرسول لنفسها ، وهى الشريفة الحسيبة بين قومها الرفيعة الشأن والقدر ، الغنية، المترفهة المرغوب فيها من كل أحد .

وقد خطبها الكثير من الرجال من كبار قومها ومن غيرهم ولكنها ردتهم خائبين واختارت لنفسها التقى النقى الطاهر الزكى الامين ، زين شباب قريش ، ومن لاحت فى جبينه سمات النبل والعبقرية ، وتجمعت فيه خصال الكمال وظهرت عليه امارات السيادة والقيادة والوفاء والنجابة .

وقد استجاب النبى صلى الله عليه وسلم لطلبها بعـــد مشاورة أعمامه ، وموافقتهم على زواجه بها .

وكان النبى صلوات الله وسلامه عليه ملهما موفقا فى موافقته على هذا الزواج الميمون ، فقد نظر الى مكانتها من قومها ، وموقفها فى عشيرتها وعفتها ، فتزوجها وبقى معها وعاشرها معاشرة الازواج الابرار ، الى أن بعثه الله نبيا ، وهاديا ، ومبشرا ونذيرا .

وقد صدق حدسه صلى الله عليه وسلم فيها فكانت أول من استجاب له وآمن به من الرجال والنساء فصدقته وآزرته وكان لهـــذا التصديق أثره بين عشيرتها وقبيلتها ، ومكنت

أثره بين عشيرتهـــا وقبيلتها ، ومكثت تؤازره ، وتنصره حتى توفاها الله إلى رحمته بعد أن عاشرت النبي الأمي الرحيم معاشرة الزوجات البارات خمسة وعشرين عاماً .

وتوفيت بمكة المكرمة قبـل الهجرة النبوية بثلاث سنين ، وقد بلغت من العمر خمسة وستين عاماً .

أما زوجها النبي الكريم ،فلم يزل في مستوى العمر الطبيعي ، وقد قضى معها زهرة شبابه فلم يتزوج عليها ، ولا احب أحدا مثل حبه لها ، وظل طول عمره ﷺ يذكرها ويكرم أصدقاءها ومعارفها .

وقد رزق النبي منها بجميع أولاده الذكور والأناث ما عدا ابراهيم فإنه من مارية القبطية التي أهداها اليه المقوقس .

وأولاد النبي عليه الصلاة والسلام الذكور من خديجـة رضي الله عنها هم : **القاسم ، الطيب ، الطاهر .**

وأما بناته منها فهن : **زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة الزهراء** والدة سيدي شباب الجنـــة **الحسن والحسين** رضي الله عنهما .

وقد بلغت **خديجة الكبرى** المنزلة العظمى عند الله ورسوله ، حتى بلغ من منزلتها ان يأتيها جبريـل بالسلام من ربها من فوق سبع سماوات روي انه جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال له :

« اقرىء خديجة السلام من ربها » .

فقالت خديجة رضي الله عنها بعد أن بلغها السلام :

« الله السلام ، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام » .

وقد بشرها الله جل جلاله على لسان نبيه محمد ﷺ ، ببيت في الجنة من قصب[1] ، لا صخب[2] فيه ولا نصب[3] » .

وورد عن الإمام علي رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « خير نسائهـــا مريم بنت عمران،

---

(1) القصب : اللؤلؤ المجوف .
(2) الصخب : الضوضاء .
(3) النصب : التعب .

وخير نسائها خديجة بنت خويـــلد ، وأشار الراوي الى السماء والأرض ›

اخرجه الشيخان الترمذي

هذه خديجة الكبرى ، توجتها رحمـــه الإله يوم اقترانها برسوله الكريم ، ويوم ماتت ، ويوم تبعث حية في جنـة الخلد بقصرها المشيد .

عاشت حرة كريمة ، وماتت مؤمنة رحيمة .

أكرمها الرسول ﷺ وأحبها في حياتها ، وأعزها بعد مماتها حتى بلغ من حبه لهـــا أن أكرم صديقاتها ومن يعز عليها من الرجال والنساء .

زارت النبي عليه الصلاة والسلام مرة عجوز في بيت عائشة رضي الله عنها فأكرم مثواها ، وبسط لهـــا رداءه فأجلسها عليه ، فلما انصرفت ، سألته عائشة عنها لتعلم سبب اكرامه لها فأخبرها ﷺ انها كانت تزور خديجة .

وفي صحيح مسلم عن عائشـة رضي الله عنها ان النبي ﷺ كان إذا ذبح الشاة قال « ارسلوها إلى اصدقاء خديجة » فذكرت له يوماً فقال : « اني لأحب حبيبها » .

صلى الله عليك وسلم يا سيد الأوفياء والأصفياء ، ما أشد وفاءك وأعظم نفسك وشريعتك الغراء .

لقد احترمت المرأة بعد احتقار ، وعظمتها بعد استصغار وعلمتنا الوفاء معها والاخلاص لها حية رميتة ، وأبلغتها المنزلة التي لم تحلم الانسانية يوماً من الأيام ان ستبلغ فيها المرأة هذا المبلغ العظيم من التقدير والاحترام .

ورضي الله عن خديجة وارضاها فقد كانت جديرة بهذا الوفاء والاحترام ، حرية بأن تنال مثل هذه المنزلة ، وتخلد في جنة النعيم . ومن أولى بهذا المقام العظيم من الطاهرة أم الطاهر خديجة الكبرى أم المؤمنين وعزيزة سيد المرسلين ﷺ ورضي الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مأواها .

سودة بنت زمعة

رضي الله عنها

بعد ان انتقلت خديجة الكبرى إلى جوار ربهـــا ، تزوج النبي ﷺ بالسيدة « سودة بنت زمعة » أرمـــلة السكران بن عمرو الانصاري . وهي من المؤمنات المهاجرات الهـــاجرات لأهليهن في سبيل العقيدة الاسلامية المباركة ، وقد تحملت في سبيل الاسلام المشقات ، والمصاعب ، والمتاعب فهاجرت بدينها إلى الحبشة مع زوجها فأغضبت أهلهـا وعشيرتها بهذه الهجرة وهم أشداء أقوياء .

ولما عادت من هجرتها من الحبشة ، توفي زوجها إلى رحمة الله وكان من أنصار الرسول ﷺ الأبرار ، قوي في عقيدته ، حريص على اسلامه .

هاجر في سبيل الله بدينه مرتين إلى الحبشة ، ولما توفي رضي الله

عنه خلف من بعده زوجته البارة « سودة بنت زمعة » من غير ناصر ، ولا عائل ، ولا معين . تركها وحيدة في مكة المكرمة ، ولو عادت إلى أهلها – بعد موت زوجها – لعذبوها وفتنوها في دينها ، وربما قتلوها .

فلما سمع الرسول ﷺ بأمرها وعلم بحالها ، واستمساكها باسلامها خشي عليها بطش أهلها ، وهم غلاظ الأكباد ، أعداء لله ورسوله .

فكفلها ﷺ . وهو المثل الأعلى للهمة ، والنجدة . والمروءة . وأرسل اليها النبي الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم يخطبها لنفسه ليجزيها على اسلامها ومصابها خيراً ، وينقذها مما وقعت به من المأزق الحرج .

وليتألف – بهذا النكاح – قومها بني عبد شمس أعداء الرسول ﷺ وأعداء بني هاشم .

والزواج بها هو خير ما يكافئها به على جهادها ، واخلاصها ، ومصابها الأليم ، فتم له ﷺ ما أراد . فقد قابل الناس هذه الالتفاتة من الرسول الرحيم بالاعجاب والثناء ، وخفف قومها من غلوائهم في عداوة الرسول ومخاصمته ، وانقذت هي مما كان ينتظرها من الموت والهلاك .

ولو كان للرسول ﷺ شيء من المآرب الشهوية في زواجها، لاستعاض عنها – وهي الأرملة المسنة التي بلغت من العمر الخامسة والخمسين سنة – بالنواهد الابكار من العذارى من بنات قريش المؤمنات. ولكنه عليه الصلاة والسلام البر الكريم أسمى من ذلك وأجل، وكل همه ﷺ كان منصرفاً لنجاح الدعوة، ودعم الدين وتقويته في قلوب الناس أجمعين.

وقد أسلم من قوم سودة كثير من الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً، إعجاباً بالدعوة الاسلامية، وايقاناً بها، وحباً وإعجاباً بصاحب الدعوة ومروءته، وتقديراً لعظيم خلقه، وجميل وفائه، وعلو همته.

ومكثت « سودة » رضي الله عنها مع النبي عليه الصلاة والسلام زهاء خمس سنين إلى أن تزوج السيدة عائشة رضي الله عنها في السنة الأولى من الهجرة.

بعد أن توفيت أم المؤمنين سودة بنت زمعة إلى رحمة ربها وذهبت راضية مرضية، رضي الله عنهاوأرضاها وجعل الجنة مأواها.

عائشة الصديقة

رضي الله عنها

فقد النبي ﷺ بفقد عمه أبي طالب وزوجته خديجة الكبرى ركنين قويين من أركان الدفاع عنه ، والنضال معه وفي سبيله في وقت كان أشد ما يكون احتياجاً إليهما .

وكاد يتضعضع مركزه – لولا نصر الله له – وقال أعداء النبي آنذاك : لقد افل نجم محمد أو كاد ، وانتهى أمره ، وتربصوا به الدوائر ، فالتفت الرسول الأعظم يمنة ويسرة ، وتطلع إلى السماء ، ينتظر الاهتداء من رب السماء ، لتثبيت مركزه ، وتدعيم دعوته ، ودينه ، فاهتدى إلى الاتصال بقريش اتصال مصاهرة ونسب ، ثم اختار من قريش أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، ومَن من الناس يجهل مكانة أبي بكر الرفيعة بين قومه ؟ وقد كان فيهم ، صدراً ، عزيزاً ، شريفاً ، غنياً ، براً قوياً ، عادلاً ، عالي الهمة ، قوي الشكيمة سامي المنزلة .

وكان اسلام أبي بكر من أول دلائل نجاح الدعوة الاسلامية، وقد ألقى الله حب أبي بكر في قلب الرسول ﷺ فأحبه الرسول حباً جماً حتى أصبح أحب الناس اليه هو وابنته عائشة الصديقة رضي الله عنها زوجة النبي البارة الطاهرة .

« روى البيهقي عن محمد بن عبيد عن اسماعيل بن أبي حازم قال بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل فجاء وقد ظهر[1] . فقال يا رسول الله : أي الناس أحب إليك ؛ قال : **عائشة** .

قال لست أسألك عن النساء . قال ﷺ : **أبوها أبو بكر** .

ولثقة النبي ﷺ بأبي بكر فقد استصحبه معه في أحرج المواقف ، وأشدها ، وأدقها ، في اليوم الفاصل بين الكفر والايمان ، والشرك والاسلام ، في يوم الهجرة النبوية ، وقد أنزل الله في هذه الصحبة المباركة الطاهرة قوله تعالى : « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه « **لا تحزن إن الله معنا** » .

روى البيهقي عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر في قدميه

---

(١) ظهر : اي انتصر .

لابصرنا . فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله عز وجل ثالثهما؟

أراد النبي عليه الصلاة والسلام ان يوثق عرى هـذه المحبة العظيمة ، وهذه الصحبة الكريـمة ، برباط المصاهرة الوثيق ، وهو أقود وأمتن رباط .

فتزوج من ابنة أبي بكر الصديق ، وأكرم بهـذا الزواج صاحبه الوفي الأمين ، الذي صدقه يوم كذبه الناس ، وآمن بـه يوم كفر به الناس .

عن ابن المنكدر قال: قال رسول الله ﷺ :دعوا لي صاحبي: اني بعثت وقال الناس كلهم : **كذبت**، وقال لي : **صدقت . يعني أبا بكر رضي الله عنه** . لقد شرف الرسول أبا بكر بهـذه المصاهرة واتصل بقوم الصديق وعشيره ، فكان هذا الاتصال مدعاة لتنافس القبائل والعشائر ، والتسابق الى الاسلام ونبي الاسلام .

وحكمة اتصال الرسول ﷺ بكبار صحابتـه ، صناديد الاسلام ، ودعائم الايمان والجهاد في سبيل الله ومن سيحملون اعباء الدين والقيادة من بعده ، هذه الحكمـة لا يمكن أن تخفى على ذي عينين بصيرتين ، ينظر منهما بمنظـار الحق والعدل ،

والانصاف ، فيرى ما وراء هذا الاتصال من الحكمة العاليــــة والنظرة البعيدة العميقة السديدة السامية .

خطب الرسول الحكيم عائشة لنفسه ، فاستبشر الصديق بهذه الخطبة وبادر بالموافقة عليها وقلبه الكبير يطفح بالبشر والسرور ، وعقد الرسول ﷺ عليها ، وهي قاصر بعد ، ولم تكن آنذاك ، محلا ، ولا أهلاً لقضاء شيء من المآرب الشهوية حتى يميل إليها نظر النبي وقلبه ، ولكنه عليه السلام أبصر الحكمة ، ونظر السداد والرشاد في هذا العقد ، فعقد عليها ، وبعد سنتين أو ثلاث – على اختلاف في الرواية – تزوجها ودخل بها في شوال من السنة الثانية للهجرة . وهي البكر العذراء الوحيدة من بين جميع نسائه اللائي دخل بهن عليه الصلاة والسلام وكانت رضي الله عنها أحب أزواجه اليه ، وأعلمهن بسنته ، وهي أذكى أمهات المؤمنين وأحفظهن لحديث سيد المرسلين .

ومن عرف تاريخ هذه الزوجة البارة الحكيمة ، أم المؤمنين وقرينة الرسول الأمين ، من عرف تاريخها المفصل أخذه العجب العجاب ، لذكائها ، وفطنتها ، ونبوغها ، وعبقريتها ، وعلمها ، وفقهها ، وسمو خلقها .

شيء مما ورد في عائشة الصديقة رضي الله عنها

فقد كانت رضي الله عنها ، بحراً زاخراً في الدين ، وخزانة حكمة وتشريع ، وكانت مدرسة قائمة بذاتها ، حيثما سارت يسير في ركابها العلم والفضل والتقى ، وبلغ من منزلتها أن يقول الرسول ﷺ للناس — في ذلك الزمن — وهم من هم علماً وفضلاً وفقهاً وديناً .

« خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ثم بلغ من منزلتها انه يأتيها جبريل بالسلام .

ورد عنها رضي عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام ،فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، قالت : وهو يرى ما لا أرى . أخرجه الخمسة .

ورد عن الامام علي كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : خير نسائها مريم بنت عمران . وخير نسائها خديجة بنت خويلد . وأشار الراوي — وهو وكيع بن الجراح — إلى السماء والأرض . أخرجه الشيخان والترمذي وزاد رزين في رواية : قال ﷺ : كمل من الرجال كثيراً ولم يكمل من النساء

إلا مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

ومما يشهد بفضلها وبحر علمها الزاخر ما ورد عن أبي موسى رضي الله عنه قال : ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً . أخرجه الترمذي وصححه .

وما ورد عن الزهري رضي الله عنه قال : لو جمع علم عائشة إلى جميع أمهات المؤمنين و وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل » .

وقال عطاء بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة :

وقال هشام بن عروة عن ابيه : ما رأيت أحداً اعلم بفقه، ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة .

شيء مما ورد في أبيها أبي بكر رضي الله عنه

وكان النبي ﷺ يقول : رحم الله أبا بكر زوجني ابنته ، وحملني إلى دار الهجرة وعتق بلالاً من ماله.

وروى البيهقي عن جـــابر قال كنت مع رسول الله ﷺ فسمعته يقول : يطلع علينا من هذا الفج « الطريق » رجل من أهل الجنة، فطلع أبو بكر رضي الله عنه ثم قال : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة، فطلع عمر رضي الله عنه ثم قال : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة اللهم أجعله علياً فطلع علي رضي الله عنه .

وعن ابن عباس قال أبو بكر : يا رسول الله ما أحسن هذه الآية ، قال : أيتها ؟ قال قوله تبارك وتعالى : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخـلي في عبادي وادخلي جنتي » فقال : يا أبا بكر ان الملك سيقولها لك .

وقيل انه لما اسلم والد أبي بكر قحافة لم يعلم أبو بكر رضي الله عنه باسلامه حتى دخل النبي ﷺ فقـــال ألا أبشرك يا أبا بكر بما يسرك .

قال : مثلك يا رسول الله من يبشر بالخير فمـــا هي . قال أسلم أبو قحافة قال :

يا رسول الله لو بشرتني باسلام أبي طالب كان أقـــر لعيني فانه أقر لعينك فبكى رسول الله ﷺ حتى علا بـكاؤه جزعاً لما فاته من اسلام أبي طالب .

وقال : رحمك الله يا أبا بكر

رحمك الله يا أبا بكر

رحمك الله يا أبا بكر «ثلاثاً»

وروى البيهقي في كتاب المحاسن والمساوىء عن عطاء عن أبي الدرداء انه مشى بين يدي ابي بكر رضي الله عنه فقال له رسول الله ﷺ : أتمشي بين يدي من هو خير منك ، ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبي بكر .

وفي نفس المصدر عن الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه قال كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عليه الصلاة والسلام : هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ممن مضى وممن بقي إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي ..

وعن الامام علي رضي الله عنه وأرضاه .

قال رسول الله ﷺ : «يا علي هل تحب الشيخين ؟ - يعني أبا بكر وعمر - قلت: نعم يا رسول الله» قال : لا يجتمع حبك وحبهما إلا في قلب مؤمن .

ومن كانت هذه منزلته في قلب سيـــد المرسلين ونفسه وروحه فمن أولى بمصاهرة النبي ﷺ منه رضي الله عنه وأرضاه

وخلاصة القول، ان مصاهرة النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم لأول أصحابه وأول مصدقيه، واعلاهم قدراً وأكثرهم اخلاصاً، وتضحية، في سبيل الله ورسوله، على ما كان بينهما من مودة وإخلاص قبل الاسلام هذه المصاهرة كانت مكافأة لهذا الصاحب الوفي الأمين، وهـــذا المجاهد البطل الكريم الذي حمـــل اعباء الرسالة من بعـد الرسول العظيم محمد ﷺ، فكان خير خلف لخير سلف، وكانت ابنته البارة أم المؤمنين عائشة المبرأة الصديقة الزوجة المثالية، التي جعل الله بينها وبين النبي الكريم مودة ورحمة، فأحبها الرسول وأكرمها وعاشرها بالمعروف، وأخلصت هي لسيدها وزوجها العظيم، واطاعتـه وصدقته، وحملت عنه بأمانة وإخلاص كثيراً من أحكام الشريعة الخالدة ونشرتها، وأذاعتها بين الناس خاصة الأحكام النسوية والقضايا التربوية، والمسائل البيتية.

ومات الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وهو عنها راض، ولها داع، حتى مات عندهـا ﷺ ودفن في حجرتها رضي الله عنها وأرضاها وجعل الجنة مأواها.

حفصة بنت عمر بن الخطاب

رضي الله عنها

ثم تزوج النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم بأم المؤمنين « حفصة بنت عمر الفاروق » وهي أرملة خنيس بن حذافة الانصاري .

والحكمة التي دعت الرسول الرحيم ، ان يتزوج من أجلها السيدة عائشة ، هي نفس الحكمة التي من أجلها تزوج النبي بالسيدة حفصة ، بنت بطل العرب ، وسلطان المسلمين العادل ، وخليفة رسول الله الأمين ، والعبقري الذي « لم ير الرسول ﷺ عبقرياً من الناس يفري فريه[1] » .

(١) فرى الجلد : قطعه ليصلحه ، وفرى الفرى أتى بالعجب . والمعنى ان عمر عبقري متفرد في عمله فلا يقدر أحد على ان يصنع مثل صنيعه .
العقاد

قال النبي عليه الصلاة والسلام : بينـــما أنا نائم إذ رأيتني على قليب « أي بئر » وعليها دلو فنزعت ما شاء الله ثم أخذها مني أبو بكر فنزع منها ذنوبـاً « أي دلواً » أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله عز وجل يغفر له ، ثم أخذها عمر فلم أر **عبقرياً من الناس يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن**[1] .

هذا العبقري الخالد الذي كان الله عز وجل عند لسانـــه ويده ، وقد أعز الله بـه الاسلام ، وجعل منه الرجل الذي يهز الدنيا إذا نطق ، ويقيمها ويقعدهـا ، إذا تحرك وانطلق في الحق حتى أصبح غرة ناصعة في جبين الدهر :

وكيف لا يصبح كذلك وهو السراج الوهاج ، الذي كان نوراً لهذه الأمة وسراجاً لأهل الجنة ، وقد تباشرت باسلامـه ملائكة الرحمن .

فقد ورد عن ابن عبـاس رضي الله عنهما « عن النبي ﷺ قال : جاءني جبريل عليه السلام حين أسلم عمر رحمه الله فقال لي : **تباشرت الملائكة باسلام عمر ، وعمر سراج أهل الجنة .**

---

(١) العطن : مربط الابل حول الماء .

اتصل النبي الكريم بهذا العبقري الفذ اتصال مصاهرة ، فكان هذا الاتصال خير مكافأة لبطل الاسلام وخليفة الرسول الثاني ، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة . فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما من الرسول ﷺ بمكان السمع والبصر . روى البيهقي قال : « قال ﷺ : ان الله تبارك وتعالى أيدني من أهل السماء بجبريل وميكائيل ومن أهل الأرض بأبي بكر وعمر ، ورآهما مقبلين فقال هذان السمع والبصر .. »

وروى عن عمر رضي الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، فقال عليه الصلاة والسلام : « هكذا نبعث يوم القيامة » .

وبتمكين الاتصال بعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تم اتصال الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، بكبار رجاله ، وعظماء وزرائه ، وأصفيائه ، الذين حملوا لواء الدين ، والجهاد ، والدعوة من بعده ، صلوات الله وسلامه عليه وساروا سيرته في المسلمين ، فكأنه عليه السلام ، أعدهم اعداداً ، وهيأهم لحمل الرسالة من بعده ، فخرجهم من مدرسته العظيمة ، ورباهم بتربيته الالهية الحكيمة ، وجعلهم الأقربين منه وإليه ، فتزوج

عائشة بنت أبي بكر ، ولم يكتف بالصداقة الوثيقة بينه وبين والدها .

ثم تزوج حفصة بنت عمر ليزيد في الصلة والقرابة . وزوج ابنته العزيزة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من ابن عمه بطل الاسلام الهمام الامام علي كرم الله وجهه ولم يكتف ﷺ بقرابته منه ، بل زاد هذه القرابة وثوقاً ، ومتانة وقوة ، بهذا الزواج الكريم .

وزوج الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ، بنتيه ، رقية ، وأم كلثوم . الواحدة بعد وفاة الأخرى .

ولو كان عند النبي عليه السلام ابنة ثالثة لزوجها لعثمان أيضاً ، لمكانته العظيمة في الاسلام ، وتضحياته الجسام في سبيل هذا الدين العظيم ، ولتمكن حب عثمان في قلب النبي ﷺ .

ولكل زواج حكمة خاصة ، ومن اطلع بتفصيل على ظروف وملابسات كل زواج ، علم الغاية العظمى التي رمى اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام من هذا الزواج الكريم .

أما ظروف زواج حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، فقد كانت رحمها الله متزوجة ، وزوجها من أشد أنصار الرسول ﷺ المؤمنين والمتبعين لهداه .

قاتل في سبيل الله ، حتى استشهد صابراً ، محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، فلبت روحه نداء ربها ، وكان ذلك في غزوة بدر فقد قاتل فيها قتال الأبطال ، وابلى فيها بلاء حسناً ، وهو من الفوارس الذين ضربت بهم الأمثال ، وقـد سجل له التاريخ الاسلامي المجيـد ، صفحة من صفحات المجـد ، والبطولة ، والرجولة ، والجهاد ، فكان رضي الله عنه ، كلما أصيب بجرح ضمده ، وعاد إلى القتـال ، مرة أخرى وهكذا دواليك حتى مزقت النبال جسده ، فخارت قواه ، فخر صريعـاً ، ملبياً ، نداء ربه ، تاركاً وراءه أرملته المنكوبة بفقده ، والمجاهدة في سبيل الله فقد كانت في ميدان القتال، تسعف الجرحى، وتضمد جراحهم ، وتروي بالماء غليلهم ، وربمـا ضمدت جروح زوجها الذي له في قلبها ، ما في قلب الزوجة المؤمنة الصالحة لزوجها اكبار وحب واحترام — وواراته في قبره الطاهر ، وفي نفسها ما فيها من الحسرات والزفرات ، وقد حزنت لوفاة زوجهـا واصابتها الآلام،والأوصاب وخيمت عليها المآسي والأحزان. فلما علم الرسول الأمين بحالها ، رق لهذا الحال ، وتولى مواساتها بنفسه الشريفة ﷺ ، فخطبها لنفسه ، وتزوجها . إكرامـاً لزوجها الشهيد ، وتعويضاً لها عما أصابها في سبيل الله، ومكافأة لأبيها الكريم وأي جزاء وتشريف، خير من هذا الجزاءالأوفى.

ولم تكن رضي الله عنها ، مع ضعفها وحالتها المحزنة ، ذات بهاء وجمال . ولا ناهدة عذراء ، بل تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد بلغت من الكبر عتياً ، وهي أرملة ، وكان الرسول آنذاك قد بلغ الخامسة والخمسين من عمره المبارك ﷺ .

وزواج النبي بهذه المرأة دليل آخر من أدلة زهده ﷺ في الدنيا ، وأعراضه عن متاعها ، ومباهجها الخلابة .

ودليل أيضاً على دأبه المتواصل في سبيل خدمة الدين ، ومثل صالح ناطق بحسن سياسته ، وكياسته ، ﷺ .

وبالله عليك أيها القارىء المنصف ، أي سلطان للشهوة في مثل هذا الزواج الذي إن دل على شيء فإنما يدل على البر والرحمة ، وبعد النظر وثاقب الفكر ، وسمو الخلق ؟

ولا غرابة من هذه السجايا ، فهي سجايا محمد ﷺ وكفى بها عظمة وخلوداً . صلى الله عليه ورضي عن أم المؤمنين حفصة وسائر أزواجه الطاهرات .

زينب بنت خزيمة

رضي الله عنها

بعد تزوجه ﷺ بحفصة بنت عمر بن الخطاب تزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة .

وهي المؤمنة البارة، الصالحة التقية ، المجاهدة في سبيل الله، الصابرة في البأساء والضراء .

وكان زوجها من أبطال « بـــدر » الافـذاذ الذين حفظ لنا التاريخ ، عظمة استبسالهم وجهادهم ، وتضحيتهم في سبيل الله حتى جاد بنفسه وهو أقصى غاية الجود فمات شهيداً سعيداً .

وهو البطل المقدام عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد صمد للأعداء، وكافح كفاح المؤمنين الصابرين ، وقاتل لتكون كلمة الله هي العليا .

روى أنه بدأت المبارزة في وقعة بدر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عتبة المشرك ، وبين حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وشيبة بن ربيعة عم الوليد ، فقتل بطل الاسلام علي بن أبي طالب مبارزة المشرك الوليد ، وقتل حمزة شهيد الاسلام والمجاهد الأول ، مبارزه شيبة بن ربيعة ، واختلف عبيدة بن الحارث ومبارزه عتبة بن ربيعة أخي شيبة بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فرماه ، فكر الامامان علي ، وحمزة ، بأسيافهما على عتبة فقتلاه ، واحتملا عبيدة الجريح إلى النبي ﷺ فوضع خده على ركبة الرسول عليه الصلاة والسلام ثم رفع بصره ليودع حبيبه الأكبر محمد المصطفى بنظراته الأخيرة ، ولم يخطر بباله حينذاك رضي الله عنه أن يسأل عن أهله وعشيره ، ولا عن جرحه وألمه ولا عن أي شيء آخر في الدنيا ، وهو يودعها الوداع الأخير ولكنه سأل حبيبه بقوله : ألست شهيداً يا رسول الله ؟ فأجابه النبي الأعظم ، الذي لا ينطق عن الهوى ، بتلك البشرى السعيدة التي اصطحبها معه إلى جنة الفردوس « أشهد إنك شهيد » .

وهذه المرأة « زينب بنت خزيمة » كانت زوجة لهذا البطل الشهيد وكانت حين استشهد زوجها تقوم بواجبها الاسلامي

تجاه اخوتها في الله من المجاهدين ، ولم يلهها استشهاد زوجها ، عن القيام بواجبها ، والاستمرار في عملها ، والمضي في جهادها، حتى كتب الله النصر للمسلمين في تلك الموقعة الكبرى .

ولما علم المصطفى عليه الصلاة والسلام بحالها ، واستبسالها ، وصبرها وثباتها ، وانه لم يعد هناك من يعولها ، ويذود عنها ويحميها .أراد الرسول ﷺ أن يجزيها على اسلامها، وجهادها ، وصبرها ، ومصابها ، خيراً ، فخطبها لنفسه وآواها اليه وجبر خاطرها ، بعد ان انقطع عنها الناصر والمعين ، وكافأ زوجها وهو في قبره .

وكانت قد بلغت الستين من عمرها حينما تزوج بها النبي ﷺ.

ولم تعمر عند النبي الكريم سوى عامين ، ثم توفاها الله اليه راضية مرضية .

فما رأي الخا عين بهذا الزواج الشريف ، وغايته النبيلة .

وهل يجدون فيه شيئاً مما يأفك الأفاكون ؟

أيجدون فيه أثراً للهوى والشهوة ؟ أم هو النبل ، والعفاف، والعظمة والرحمة ، والفضل والاحسان ، من رسول الانسانية

الأكبر الذي جاء رحمة للعالمين ونوراً للناس أجمعين ، ومـــا أرسلناك إلا رحمة للعالمين » فليتـق الله المستشرقون المغرضون وليؤدوا أمانـــة العلم ولا يخونوها في سبيل غايات خبيثـــة ، استشرقوا ، ودرسوا العلوم الاسلامية خاصـة للدس ، والكيد والنيل من سيد الانسانية ﷺ .

ولقد طاشت سهامهم ، وخابت آمالهم وأحلامهم ،فرسول الرحمة أجلّ من ان يناله شيء مما يقول المرجفون ، إن يقولون إلا كذباً وظناً . وان الظن لا يغني من الحق شيئاً . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

« أم سلمة »

هند بنت أبي أمية

« المخزومية »   رضي الله عنها

وتزوج النبي الأمين ﷺ بأم سلمة واسمها « هند بنت أبي أمية » وقد حفظ التاريخ الاسلامي لهذه المرأة ذكراً مجيداً ، إذ كانت من شهيرات المؤمنات، العاملات وراء صفوف المجاهدين في غزوة أحد ، ولها حصافة في العقل ، وسداد في الرأي . لاقت في سبيل إسلامها الأهوال ، وما جزعت ، وما زادتها الصدمات إلا إيماناً وتثبيتاً .

رافقت زوجها « أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد » في هجرته إلى الحبشة فراراً بدينها . وزوجها هذا هو ابن عمة النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة وقد لاقى هذا المجاهد البطل الشدائد والنوائب ، فما وهن لما أصابه في سبيل الله ولا ضعف ، ولا استكان ، وأبلى في غزوة أحد بلاء حسناً، وقاتل قتال المخلصين

المتعشقين إلى الموت ، حتى أصيب بجراح دامية . ولما عوفي من جرحه هذا ، عقد له النبي ﷺ لواء لقتال بني أسد ، فقاتل وكافح حتى عاودته جراحه واشتد عليه ألمه ، ولزم فراشه ، وقد عاده النبي ﷺ وكان إذ ذاك يحتضر ، فمكث النبي بجواره حتى أغمض عينيه بيده الشريفة ، ودعا له بالجنة ثم عزى أم سلمة وربت على أكتاف أيتامها الأربعة : **برة ، وسلمة ، وعمرة ، ودرة .**

يروى عنها رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم تصيبه مصيبة فيسترجع ويقول : « اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها ، إلا أخلف الله له خيراً منها » .

فلما مات أبو سلمة زوجها ، وكانت تجله أيما اجلال تذكرت قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت في نفسها : من خير من أبي سلمة ؟! رجل نال الصحبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ولكنها استرجعت وقالت ما أوصى به الرسول الكريم ، فأخلف الله لها خيراً من مصابها ، وأكرمها برسول الله ﷺ :

إذ ان المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد انقضاء عدتها

أرسل اليها وطيب خاطرها ، وآواها اليه ، وخطبها لنفسه ، اشفاقاً عليها ، ورحمة بأيتامها أبناء وبنات أخيه من الرضاعة واكراماً لأخيه الشهيد لئلا تذل زوجته وأولاده من بعده

ولما أرسل النبي ﷺ يخطبها اعتذرت اليه وقالت : « اني مسنة ، واني أم أيتام ، واني شديدة الغيرة » .

فأجابها عليه الصلاة والسلام وأرسل لهـــا رسوله بقوله : الأيتام أضمهم الي ، وأدعو الله ان يذهب عن قلبك الغـيرة، ولم يعبأ بالسن فتزوجها ﷺ بعد موافقتها وقام على تربية أيتامها ووسعهم قلبه الكبير : حتى أصبحوا لا يشعرون بفقد الأب ، إذ عوضهم أباً أرحم من أبيهم ، وسيداً أبر من سيدهم ، انـه الرسول الرحيم ﷺ وكفى به سيداً ورحيما .

فقولوا أيها الشباب بربكم للدساسين المنافقين ، ماذا تقولون عن هذا الزواج ؟ وما الذي يحمله في طياته . أليس فيه أروع مثل للنجدة ، والشهامة ، والمروءة والوفاء ؟ وهذا أقل مــــا كان يتصف به سيد الكائنات رسول الله وحبيبه محمد ﷺ .

ولو كان النبي الأمين راغباً في اللذة والشهوة – وحاشاه ثم حاشاه ألف ألف مرة – فما أوسع ميدانها أمامه ، وما كان

أغناه عن مثل هذا الزواج ، بمثل هذه الأرملة ذات الأيتام الأربعة . وما أكثر الكواعب الأتراب ، والناهدات الأبكار ، ولكنه الوفاء ونبل الغاية تدفعانه ﷺ لأن يتزوج مثل هذا الزواج الانساني العظيم الذي وصل به رحمها ، ووفى بحق أخيه من الرضاعة . وضرب أروع مثل للنجدة والمروءة والوفاء . والكمال الانساني ، فصلى الله على هذا الرسول الكريم ، البر الرحيم والمثل الكامل في الوجود البشري العام .

جعلنا الله من المهتدين بهديه . المقتفين لسنته ، والآخذين بما آتانا من ربه ، والمنتهين عما نهانا عنه .

ورضي الله عن أم سلمة ، أم المؤمنين ، وعلى جميع أزواجه وذريته ، وعشيرته الطيبين الطاهرين ، والحمد لله رب العالمين .

زينب بنت جحش

« الأسدية » رضي الله عنها

وتزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة **« زينب بنت جحش الأسدية »** ابنة عمته ، اميمة بنت عبد المطلب ومطلقة دعيه ومتبناه ، ومعتوقه ، زيد بن حارثة بن شراحبيل .

وقد كان لهذا الزواج شأن عظيم عند الناس ، ففي هذا الزواج ساوى الاسلام بين الحر والعبد ، ولم يعد العبد يشعر بعبوديته ، ولا الرقيق برقه ، وقضي على الخيلاء والكبرياء ، إذ أن العرب كانوا يأنفون من أن يختلطوا بادعيائهم ، اختلاط مصاهرة أو نسب ، وفي هذا الزواج قضي الاسلام على بدعة التبني ، إذ كان الرجل منهم يتبنى له ولداً لم يكن من صلبه ،

فيتخذه ابنه ، ويعطيه حقوق البنوة المطلقـة . فيرث ويورث ولا يتزوج زوجته من بعده ولا يؤثر أحداً عليه .

فجاء الاسلام العظيم بتغيير هذه العـــادة ، وجاء بالمساواة بين الناس .

فالرسول العربي الهاشمي صلوات الله وسلامه عليه ، يزوج غلامه ودعيه « زيداً » بابنة عمته العربية الهاشمية ولا يرى في ذلك بأساً ، إذ ان الاسلام قد ساوى بينهما ، والرسول الكريم حقق هذه المساواة بصورة عملية ،وبرهن للعالم على سماح الاسلام وعدله ، والحرية والمساواة فيه .

ثبت أن النبي ﷺ حينما عرض الزواج على ابنة عمته زينب بزيد غلامه ، تأبت زينب ، ورفضت الزواج بـــه ، اعتزازاً بنسبها ، واستصغاراً لشأن زيد ، وأيدها في هذا الرفض أخوها عبدالله ، بعد هذا نزل الحكم من رب السماء ، ولا راد لمـا قضي الله به وحكم ، وحكمه تبارك وتعالى هو انفاذ هـــذا الزواج ، نزلت الآية الكريمة بعد ان ذهب النبي ﷺ الى زينب فقال لها: « إني أريد أن ازوجك زيد بن حارثة فاني قد رضيته لك » .

فقالت : يا رسول الله لكني لا أرضـــاه لنفسي ، وأنا أيم قومي وبنت عمتك فلم أكن لأفعل .

فنزل قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ، إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً » بعد هذه الآية الكريمة قالت زينب للنبي ﷺ : قد أطعتك فاصنع ما شئت . فزوجها النبي الكريم إلى زيد ودخل بها زيد وهو فرح مسرور ، ولكنه بعد ذلك أخذ يلقى منها المتاعب ، إذ كانت تغلظ له في القول ، وتتعظم عليه بشرفها وحسبها ، حتى عافتها نفسه وضجر منها فذهب إلى النبي ﷺ شاكياً منها ، وطالباً موافقة النبي على طلاقها ، فقال له النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله .

قال النبي ﷺ هذا وهو يعلم انه لا بد له من طلاقها ومفارقتها وأن الله يأمر نبيه بالتزوج بها بعد طلاق زيد لها إبطالاً لبدعة التبني ، إذ أن امرأة المتبنى في الجاهلية كان لا يجوز أن يتزوجها الرجل الذي اتخذ زوجها ابناً له ، فحكمه عندهم كحكم الولد الحقيقي والرسول الكريم ﷺ قد اتخذ زيداً ابناً له على عادتهم وزوجه من قريبته زينب ثم افترقا فأمر الله رسوله بتزوج زينب من بعد طلاق زيد لها ليبطل حكم الجاهلية ويؤسس حكم الاسلام .

زيـد وقصة تبنيـه

أود ان أقف هنا قليلا لأبين قصة زيد ، وحالة تبني الرسول ﷺ له ، ثم قصة تفضيـله للنبي على والده وذويه ، حين خيره الرسول بين أن يبقى عنده أو أن يلحق بوالده وأهله.

روى ابن عباس رضي الله عنهما أن زيـداً كان في أخواله بني معن من بني ثعل من طي ، فأصيب في نهب ، وجيء به إلى سوق عكاظ ، وانطلق حكيم بن حزام بن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها ، وكانت عمته خديجة بنت خويلد قد أوصته ان يشتري لها غلاماً ظريفاً عربياً ان وجده .

فلما قدم وجد زيداً يباع فيها ، فأعجبه ظرفـه وأدبه فابتاعه ، وقدم به على خديجة وقال لها : اني ابتعت الغلام الذي أوصيتني به . فان أعجبك فخذيه وإلا فدعيه لي فانـه قد أعجبني . فلما رأته خديجة أعجبها وأخذته .

ثم تزوجها النبي ﷺ وهو عندها ، فأعجب النبي ﷺ ظرفه وأدبه ، فاستوهبها إياه . قالت : أهبـه لك على أن الولاء لي إن عتق ، فأبى عليه السلام قبوله على هذا . فوهبته له ان

شاء اعتق وان شاء أمسك والولاء له . فشب عند النبي ﷺ يتوفر على خدمته ويذهب في حاجته إلى الأسواق . ثم انـــه خرج مرة في ابل لأبي طالب بارض الشام فمر بأرض قومــه ، فعرفه عمه فقام اليه. فقال : من انت يا غلام ،قال: غلام من أهل مكة قال : من أنفسهم ؟ قال: لا . قال: فحر انت أم مملوك ؟ قال: بل مملوك ،قال : لمن ؟قال: لمحمد بن عبدالله بن عبد المطلب. فقال له : أعربي أنت أم عجمي ؟ قال: عربي . قال: ممن أصلك ؟ قال: من كلب . قال: من أي كلب ؟ قال: من بني عبدود . قال : ويحك ،ابن من أنت ؟ قال : ابن حارثة بن شراحبيل. قال: وأين اصبت ؟ قال: في أخوالي. قال: ومن اخوالك ؟ قال: طي . قال: ما اسم أمك ؟قال: سعدى ،فالتزمه : وقال: أنت ابن حارثة ودعا أباه ، فقال: يا حارثة هذا ابنك . فأتاه فلما نظر اليه عرفه . قال : كيف صنع مولاك اليك . قال : يؤثرني على أهله وولده ، فركب معه أبوه ، وعمه ، وأخوه وقدموا مكة ، فلقوا رسول الله ﷺ فقال له حارثة : يا محمد انتم أهل حرم الله وجيرانه ، وعند بيته تفكون العاني وتطعمون الأسير ، ابني عندك فامنن علينا وأحسن الينا في فدائه فانك ابن سيد قومه وإنا لنرفـــع اليك في الفداء ما أحببت . فقال رسول الله ﷺ: أعطيكم خيراً

من ذلك،قالوا:وما هو؟ فقال: أخيره فان اختاركم فخذوه بغير فداء وان اختارني فكفوا عنه ، فقالوا :جزاك الله خيراً، فقد أحسنت . فدعاه رسول الله ﷺ فقال : يا زيد أتعرف هؤلاء؟ قال :نعم ، هذا أبي وهذا عمي وهذا أخي . فقال عليه الصلاة والسلام : فهم من قد عرفتهم . فـــان اخترتهم فاذهب معهم وان اخترتني فأنا من تعلم . فقال زيد:ما أنا بمختار عليك أحداً أبداً . أنت مني بمكان الأب والعم . قال أبوه وعمه : يا زيـــد أتختار العبودية ! قال : ما أنا بمفارق هذا الرجل . فلمـا رأى رسول الله ﷺ حرصه عليه قال : **اشهدوا انه حر وانه ابني يرثني وأرثه** ، فطابت نفس أبيه وعمه لما رأوا من كرامـــة زيد على النبي ﷺ .

ثم انصرفوا تاركين زيداً عند النبي صلوات الله وسلامـــه عليه،ومكث زيد يدعىزيد بن محمد طوال بقائه مع الرسول ﷺ حتى نزل قوله تعالى«: **ادعوهم لآبائهم** » فدعي زيد بن حارثة .

وروى البخاري ومسلم وغيرهمـــا عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: « **أدعوهم لآبائهم** » فقال النبي ﷺ أنت « زيد بن حارثة بن شراحبيل » بعد هـــذا الأمر

الإلهي ، تألم قلب زيد لهذا النبأ وانخلع له فؤاده ، وان كان قد قبل الأمر الإلهي راضياً مطمئناً ، ولكنه شعر بالوحشة ، وأحس بالغربة إذ كان ينتسب إلى أكرم مخلوق ، وأشرف مبعوث ، وأحسب العرب ، واعلاهم نسباً ، إذا به يؤمر بأن يرجع إلى نسبه الأول ، فما كان محمد ﷺ ابا احد من الرجال ، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين .

ولكن النبي الرحيم علم بحالة زيد النفسية ، وزيد مولاه المخلص الأمين ، والوفي الكريم ، فالتفت اليه . وزوجه ابنة عمته زينب الشريفة الحسيبة فجبر خاطره ، وساواه – كما قلنا – بأشرف الرجال ، واسماهم قدراً . وعلم الناس ان الكفاءة انما هي في الدين والتقى : « ان أكرمكم عند الله اتقاكم» وان صلة الاسلام فوق كل صلة . مهما قربت تلك الصلة ، وصلة الاسلام هي التي تسوي بين الحر والعبد ، والسيد والمسود ، والرئيس والمرؤوس . وانما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام ذلك بأمر من الله ، ووحي من رب السماء ، في شأن هذا الزواج كله . فالله سبحانه وتعالى قد أعلم رسوله بالأمر وهو ان زيداً سيطلق زينب وانه ﷺ سيتزوجها من بعده ، ولكنه عليه الصلاة والسلام خجل من هذا الأمر فاحتفظ به

وخشي من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم عليـــه وعلى المسلمين بقولهم . تزوج محمد زوجة ابنه بعد نهيه عن حلائـل الأبناء كما كان ، فعاتبه الله على هذا وتزهه عن الالتفـات اليهم فيما أحله له فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه قوله : « **وإذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه . أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه . وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه . فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ، إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا** » .

فقوله تعالى : « **زوجناكها** » نص في ان هذا الزواج كان بأمر من الله تعالى لما ذكر فيه من حكمة التشريع ولم يكن برغبة النبي ﷺ ولا بميله، كما يقول بعض المرجفين ـ أعداء الله ـ في هذا الزواج .

ثم قوله تعالى : « لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » تصريح ونص واضح بعلة تزوج النبي بها، أي لأجل ان لا يجد أحد المؤمنين في نفسه أدنى ضيق صــدر ولا مبالاة بلوم في التزوج بنساء أدعيائهم بالتبني. وكفى برسول الله ﷺ قدوة في ذلك ، كما قال المرحوم السيد محمد رشيد رضا .

وقد روى عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : لو كان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي ، لكتم هذه الآية .

« وإذ تقول للذي أنعم الله عليه - أي بالاسلام - وأنعمت عليه - يعني - بالعتق - امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ، الى قوله وكان أمر الله مفعولاً » ولما تزوج بها الرسول ﷺ قالوا : تزوج حليلة ابنه. فانزل الله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » .

وحاشا لرسول الله أن يكتم شيئاً مما انزل اليه وهو الصادق الأمين ، والنبي الطاهر الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

هذه هي قصة زيد وزينب بنت جحش. التي اتخذ منها اعداء الاسلام تكأة للطعن بالاسلام ونبي الاسلام وقد تمادى عداء الدين في غيهم وعتوهم، وأطلقوا لأنفسهم العنان فطعنوا، وجرحوا ، واكثروا من اللغو والبهتان .

واتهموا النبي الأعظم ﷺ زوراً ، وبهتاناً ، وضلالاً ، بالشهوة والميل إلى النساء .

وقالوا في هذا الزواج قولتهم المنكرة إذ زعموا أن النبي ﷺ رأى زينب وزيد غائب ، فوقعت في نفسه وأعجبته ،

فأمر مولاه زيد بأن يطلقها ليتزوجها هو من بعده ، هذا ما يقوله المنافقون والدساسون ونستغفر الله مما يقولون. ان يقولون إلا كذباً وزوراً ، ألا يعلم أولئك الجاهلون ـ أو المتجاهلون ـ انه لو كان للجمال سلطان على قلب المصطفى عليه الصلاة والسلام لكان أقوى سلطان عليه جمال البكر في روائه ، ونقائه ، وبهائه .

وقد كان ﷺ يراها ، وتراه منذ الصغر ، ولم يكن بينها وبينه حجاب ، ولا يخفى عليه شيء من محاسنها الظاهرة وهي ابنة عمته القريبة ربيت وإياه في أسرة واحدة ، ونبت أصلها من شجرة مباركة واحدة .

قال الامام أبو بكر بن العربي رداً على قول من قال : إن النبي ﷺ رأى زينب بعد ان تزوج بها زيد فوقع منها في قلبه شيء « إنه باطل لا يصح النظر اليه فانه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن هناك حجاب يمنعها منه فكيف تنشأ معه ، وينشأ معها ، وينظرها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج وقد وهبته نفسها ، وكرهت غيره ، فلم يخطر ذلك بباله ، فكيف ، يتجدد الهوى بعد العدم ؟ حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة » .

ونفس الرسول الأعظم أجـل ، وأكبر ، وأسمى ، من أن يعلق بها شيء من هذا الوضر، الذي يخرج من أفواه المرجفين.

وتاريخ الرسول ﷺ معروف بين قومه وحتى عند خصومه. فهو الصادق الأمين ، والطاهر الزكي ، الذي لم تعرف عنه علاقة فاسدة قط قبل النبوة . فكيف بـــه وهو نبي مرسل ، وزوج كريم ، وأب رحيم ، بل لم يعرف عنه لهو باطل في حالة شبابه وصباه ، إذ ان الله أدبه فأحسن تأديبه فقال فيه وهو أصـدق القائلين : « وإنك لعلى خلق عظيم » فهل بعد هذا قول لقائل ؟

وأي عقل يسوغ أن يحدث مثل هذه العلاقة المنكرة ، من مثل منقذ البشرية ، ومصلح الانسانية وباعث الفضيـــلة من مرقدها ، وناشر لواء العدل والحق ، والخلق ، محمـــد ﷺ ، هادي الخلق إلى الحق ؟

ان العقول السليمة ، تقضي قطعاً ببطلان ما يقول الخراصون ان يقولون إلا كذباً وزوراً ، وليس في قولهم إلا ما يرد كيدهم في نحورهم ، فهم يحرفون الكلم عن مواضعـــه ، ويحسبون انهم يحسنون صنعاً . إذ تعدهم أنفسهم وتمنيهم أنهم سينالون من هذا الدين بالطعن في رسوله العظيم ، وهيهات هيهات لما يوعدون .

ان هذا الزواج ، زواج نبيل وغاياته وأهدافـــه شريفة

نبيلة، بين الله فيه للناس قواعد شرعية ، كان الناس عنها غافلين.

وإنه زواج قضت به السماء ، وأنزل فيه رب السماء آيات بينات من عنده وأمر رسوله بالتنفيذ ، فنفذ ، وكان أمر الله مفعولاً .

روي أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على نساء النبي ﷺ بهذا الزواج الذي أمر به رب العزة من فوق سبع سماوات .

روى البخاري رحمه الله وغيره : أنها رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات .

فهنيئاً لك يا أم المؤمنين زينب ، ورضي الله عنك وأرضاك .

وصلى الله على زوجك الطاهر الأمين ، سيدنا ، ورسولنا ، وإمامنا ، وهادينا « محمد » وعلى آله وصحبه أجمعين .

أم حبيبـــة

« رملة بنت أبي سفيان »

« الأموية »　　　　رضي الله عنها

وفي سنة ست أو سبـــع من الهجرة ، تزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة « أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان » بنت زعيم قريش، ورئيس مكة ، وخصم المسلمـــين العنيد ، آنذاك ، وعدو الرسول اللدود ، وقومه ، بنو عبـد شمس ، كانوا أعداء بني هاشم قوم النبي عليـه الصلاة والسلام ، ناءوا الدعوة الاسلامية وصاحبها ، واستفرغ ما في طاقتـه من قوة ، لصد الرسول عن هذه الدعوة المباركة التي جاء بها من ربه ، ولكنه لم يفلح وارتد بصره خاسئاً وهو حسير .

وقد أسلم رجال مكةونساءها حتى ابنةأبي سفيان أم حبيبة اعتنقت الاسلام ، وفرت من وجه أبيها هاربة بدينها العزيز إلى

الحبشة مع زوجها « عبيد الله بن جحش » وكان هـذا الزوج قد أسلم أيضاً وهاجر إلى الحبشة بدينه ، فهاجرت زوجتـه أم حبيبة معه .

وفي الحبشة أضل اللههذا الزوج ، فارتد عن دينه الحنيف ، واعتنق النصرانية له ديناً ، فتبرأت منه أم حبيبة ولم تلن إلى توسلاته بها، في طلب اللحاق به ، بل ثبتت على دينها ، الاسلام وتمسكت به، فلاقت في وحدتها هناك – في الحبشة – الشدائد والأهوال ، وجابهت المتاعب ، والمصاعب ، بالصبر والجلد ، وهي خائفة من بطش أبيها بها ، وهو فحل قريش ، وكبيرها، وسيدها المطاع ، كما أنها رهبت نقمـة أمها عليها ، وأمها « هنـد » عدوة الرسول الأولى ، ومخاصمته العنيدة ، التي كانت تؤلب عليه الناس ، وتنفرهم منه .

وأخاف أم حبيبة كذلك بطش قومها وعشيرها ، وشماتتهم بها ، وأخوف ما يخيف العربي شماتة عدوه به .

هذه المخاوف ، جعلت الكرب يشتد على هذه المؤمنة الصابرة، وقد مات زوجها هناك على ردته ونصرانيته ، فبقيت وحيدة، شريدة ، غريبة ، لا تدري ما تصنع ، فتركت أمرها إلى الله ، وتوكلت عليه ، « **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** » .

والله يكفيها ، ويكفلها ، ويرعاها ، ويحميها ، ما دامت قد أحسنت التوكل عليه عز وجل .

علم الرسول الرحيم ﷺ بخبر هذه المرأة وحالتها المحزنة ، فرق لها قلبه الكبير ، وأراد أن يجزيها ، على صبرها ، وثباتها واستقامتها وجهادها ، خير الجزاء .

فكتب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ، ليزوجه إياها ، فأبلغها النجاشي ذلك فكادت تطير فرحاً واستبشاراً ، وسر خاطرها وجبرها بعد كسر ودخلها سرور ، لا يعرف مقداره إلا الله الذي يعلم السر وأخفى .

فأكرمها النجاشي ، ولطف بها ، وأحسن اليها ، وأصدقها عن النبي ﷺ ، أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة ، وسفرها مع شرحبيل بن حسنة معززة مكرمة ولما عادت إلى المدينة المنورة ، تزوجها النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام .

والذي تولى عقد النكاح في هذا الزواج الكريم ، عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وليعجب الحكماء ، من عمل الرسول في هذا الزواج ، الحكيم والذي بلغ الغاية في الحكمة ولم يكن ليبلغها لولا عناية رب السماء وهدايته .

لقد خفف الرسول بهذا الزواج من غلواء عداوة بني أمية له ، ويروى ان أبا سفيان حينما بلغه خبر هذا الزواج ، قال عن الرسول ﷺ : **هو الفحل لا يقدع أنفه .**

فافتخر بالرسول ﷺ ولم ينكر كفاءته له .

وفي هذا الزواج أسعف الرسول هذه المرأة المجاهدة، البارة الصابرة ، وأنقذها من مأزقها الحرج ، واختارها لنفسه لشرفها وقومها ، فلو أنها زوجت من غير كفء لاتخذ بنو أمية ذلك سبيلاً إلى إثارة الفتن بين القبائل ، وإيقاد نار الحروب ، باغراء قومهم ، وحلفائهم بالمسلمين ، على قلة عدد المسلمين ، وضعف عددهم .

وتزوج النبي الكريم ﷺ بهذه المرأة وقد بلغت من الكبر عتياً .

فهل بعد هذا البيان مجال لقول المفترين ، الافاكين ، الذين يزعمون زوراً وبهتاناً ، أن للهوى والشهوة أثراً في كثرة زوجات النبي الطاهر الزكي وتعددهن ؟ إنها القلوب السوداء التي ران عليهافغيرت معالم الحقائق والقت عليها استاراً من إفكهاوضلالها.

ففي سيرة الرسول الأعظم وفي زواجه عليه الصلاة والسلام بزوجاته المتعددات ، أمثلة إنسانية نبيلة ، تجعل الحاقد الحسود

للاسلام ، يخر ساجداً أمام هذا الدين الالهي الذي ملأ قلوب المؤمنين والمؤمنات نوراً وضياءاً ، ويقيناً بعظمة هذا الدين ، وفضله ، ورحمته ، وانسانيته : « ان الدين عند الله الاسلام » وقد حفظ التاريخ الاسلامي لأم حبيبة بنت أبي سفيان ، حادثة ، مدهشة ، جميلة ما كان لي أن أمر عليها من غير ان اذكرها للناس للعبرة البالغة التي تحملها معها هذه الحادثة .

وتدلنا هذه المسألة على قوة تأثير الاسلام في النفوس المشبعة بروح الايمان ، والذي يحملها تستهين في سبيله بكل شيء حتى بأبنائها ، وآبائها وعشيرتها . واليكم الحادثة :

قدم أبو سفيان إلى ابنته أم حبيبة ذات يوم ، وهو يعتقد أنه أب بار ، يملك تلك المنزلة الرفيعة التي تكون في قلب ابنته البارة به .

وأقبل على أم حبيبة ليدعوها إلى الكفر ، ويغريها بالردة ، فدخل بيتها ، ولما رغب في الجلوس على فراشها طوته ومنعت يده من لمسه أو الاقتراب منه ، فاشتد غضبه وقال لها : أراغبة بهذا الفراش يا بنية عني ؟ أم بي عنه ؟ فأجابته على الفور : بل به عنك ، لانه فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل نجس غير مؤمن . فغضب عليها وقال لها : لقد أصابك بعدي شر . فقالت : « لا والله بل خير » .

فألقت هذه المرأة المؤمنة على أبيها زعيم المشركين آنذاك . درساً بليغاً في الإيمان ، دك قواه ، وهد جسمه ، وهدم شدته ، ورده بالفشل والخسران . وعادت هي منتصرة مستبشرة ، وعلم المؤمنون والمؤمنات بحالها وخبرها هذا فارتفع شأنها ، وعلت مكانتها بين الناس فأكبروها وأكبروا فيها هذه الروح الاسلامية الوثابة ، ثم كان من شأن أبيها ان اسلم وحسن اسلامه بعد أن تألفه الرسول ﷺ وأحسن اليه إحساناً إثر احسان .

وأكرمه النبي ﷺ يوم فتح مكة ، فنادى المنادي يوم النصر : « **من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن** » .

وهكذا الاسلام في سماحته وعفوه ، يدفع بالتي هي أحسن ، وينزل الناس منازلهم ، ويتألفهم ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، وهذا الزواج الكريم بأم المؤمنين ، أم حبيبة ، دليل على عظمة صاحب الرسالة محمد ﷺ وبعد نظره ، وثاقب رأيه ، وكريم عطفه ورحمته بالمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات رضي الله عنهم أجمعين ، ورزقهم جنة النعيم ، وأيدهم بنصر منه عز وجل ، والله نعم المولى ونعم النصير .

جويرية بنت الحارث

رضي الله عنها

وتزوج النبي الكريم ﷺ بالسيدة « **جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار** » سيد بني المصطلق .

وجويرية أرملة مسافع بن صفوان المصطلقي ، وكان زوجها هذا من أشد وألد أعداء الاسلام والمسلمين وأكثرهم خصومة للرسول ﷺ .

قتل يوم المريسيع[١] ، وترك هذه المرأة ، فوقعت في الأسر بيد المسلمين ، والاسيرات من النساء كن يتخذن اماء للبيع أو للخدمة ، ولا يسوى بينهن وبين الحرائر في شيء ، وهن محرومات من نعمة العتق إلا بالمكاتبة واشتراء أنفسهن من مالكهن .

---

(١) المريسيع : اسم ماء لقبيلة خزاعة .

فأراد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام اكرام هذا الصنف من النساء الأسيرات فسوى بينهن وبين الحرائر ، وضرب للناس أصدق مثل على سماحة الاسلام ، ويمنه ، وبركته ، وعدله ، بين الناس .

فتزوج النبي الكريم بهذه « الأمة » الأسيرة والقى على الناس درساً عملياً في هذه المسألة ، وازال من أذهانهم ما كان قد علق بها من احتقار الاماء والازدراء بهن ، وعلم أصحابه الكرام والمسلمين من بعدهم ، كيف يجب ان يصونوا ربات البيوت ، وسيدات الاسر ، ويرحموا عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر .

وقد كانت « **جويرية** » من سبايا بني المصطلق ، فتزوجها النبي ﷺ ليقتدي به أصحابه من بعده. وقد اقتدوا – فعلاً – إذ لم يكونوا ليتركوا أمراً فعله رسول الله الحبيب المطاع ، بل كانوا يسيرون على نهجه ﷺ ويقتدون بسنته حرفاً ، حرفاً .

بعد زواج النبي ﷺ من جويرية اعتق المسلمون جميع من كان بأيديهم من نساء بني المصطلق إكراماً لمصاهرة الرسول الحبيب لهم .

ولما رأى بنو المصطلق هذا السمو ، وهذا العفو والكرم اسلموا جميعاً ، وآمنوا بالله ورسوله .

فكانت « جويرية » أيمن امرأة على قومها .

ورد في الحديث الصحيح المتفق عليه بين الامامين البخاري ومسلم :

عن عائشة الصديقة رضي الله عنها انها قالت : أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين ، والرجل سهماً ، فوقعت جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس . فجاءت إلى الرسول فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق فأعني على فكاكي . فقال : أو خير من ذلك ؟ فقالت : ما هو ؟ فقال : أودي عنك كتابك وأتزوجك . فقالت : نعم يا رسول الله . فقال رسول الله : قد فعلت » .

وخرج الخبر إلى الناس فقالوا : أصهار رسول الله يسترقون؟ فاعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت ، بتزوجه ﷺ بجويرية بنت سيد القوم .

وروي ان أم المؤمنين جويرية كانت من أعبد أمهات المؤمنين.

وقد ورد أن أباها جاء إلى النبي ﷺ فقال : ان ابنتي لا يسبى مثلها فخل سبيلها ، فأمره ﷺ ان يخيرها فسر بذلك أبوها ، فخيرها ، فاختارت الله ورسوله .

فانظر ايها القارىء المنصف إلى ثاقب رأي الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعظيم رحمته ، وجميل صنعه ، في هذه المرأة التي كانت زوجة لألد أعداء النبي وأشدهم خصومة له ﷺ .

فأحسن إليها النبي وأكرمها فوقع ذلك في قلبها وقلب أهلها وعشيرها ، موقعاً حسناً ودخلوا في دين الله أفواجاً .

وهذا ما يرجوه النبي المصطفى من نجاح دعوته المباركة بين الناس فهل بعد هذا البيان مقال لقائل ، وهل تجد النفوس الحكيمة رأياً أسمى من هذا الذي رآه الرسول العظيم ؟ بثاقب رأيه وعظيم حكمته ، وحاشا ثم حاشا ان يرى غير الرسول مثل هذا الرأي الذي تخر الجباه ساجدة لله الذي علم رسوله ما لم يكن يعلم ، لعظمة ما ترى وتسمع من حكمة رسول الرحمة ، والعدل ، والاحسان ، محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين الذي هدانا لاتباع الرسول الأمين .

صفية بنت حيي بن أخطب

رضي الله عنها

وتزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه « بصفيـــة بنت حيي » أرملة « كنانة أبن بي الحقيق » ووالدها « حيي » زعيم بني النضير وسيدهم ، وهو من أشرف بيوتهم ، وفي غزوة خيبر ، أسرت صفية ووقعت في يد المسلمين ، فأخذها « دحية » في سهمه ، إلا أن أهل الرأي والمشورة ، من الصحابة الكرام اجتمعوا فقالوا للرسول ﷺ : يا رسول الله إنها سيـــدة بني النضير وقريظة ، لا تصلح إلا لك .

فاستحسن النبي الرحيم رأيهم ، وأبى أن تذل هذه السيدة الشريفة في قومها بالرق والعبودية عند من تراه دونها في المكانة ، فاصطفاها النبي عليه الصلاة والسلام ، وأعتقهـا ، وتزوجها ، ووصل بهذا الزواج قومهـــا الذين دأبوا على مخاصمته طوال حياتهم .

ولقد أحسن الرسول ﷺ إلى هذه المرأة وأكرمهـــا ، وتلطف بها حتى أصبحت تفضله على أهلها وعشيرها ، وقد ورد أن النبي الكريم خيرها بين العتق واللحاق بأهلهـــا ، وبين اقترانه بها .

فقابلت هذا الاحسان بمثله ،فاختارت الله ورسوله،وأعلنت اسلامها ، وأظهرت حبها القـــديم للاسلام ، وقدمت طاعتها واخلاصها لهذا الرسول الأمين وتركت قومهـــا ، وأهلها ، وعشيرها ، إلى غير رجعة .

روي عن ابراهيم بن جعفر عن أبيه قال : « لما دخلت صفية على النبي ﷺ قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتلـــه . فقالت : يا رسول الله ، ان الله يقول في كتابه : « ولا تزر وازرة ، وزر أخرى » .

فقال لها رسول الله اختاري ، فان اخـــترت الاسلام أمسكتك لنفسي ، وان اخترت اليهودية فعسي أن أعتقـــك فتلحقي بقومك ، فقالت : يا رسول الله لقد هويت الاسلام ، وصدقت بك ، قبل ان تدعوني حيث صرت الى رحلك ، وما لي في اليهودية أرب وما لي فيها والد ولا أخ ،وخيرتني الكفر والاسلام ، فالله ورسوله أحب الي من العتق ، وأن أرجع إلى

قومي . قال : فأمسكها رسول الله لنفسه ، وقد دللت بهذا الموقف على براعتها ، وحدة ذكائها وحسن إيمانها .

ودلت هذه الحادثة على سمو الاسلام وعظمته ، وانه قد غزا القلوب فتمكن فيها ورسخ ، ولئن طمسه الباطلة وقتا ما ، فلا بد من أن يظهره الحق في أوقات وأوقات :« وقل جاءالحق وزهق الباطل أنالباطل كان زهوقاً»فماذا يقول المنصفون في هذا الزواج ، أليس فيه الحكمة والسداد ، والهدى والرشاد ، لقد أحسن الرسول إلى من أساء إليه من اليهود ، وجازى هذه المرأة الصادقة خير الجزاء ، على إسلامها وإيمانها .

أما ان أباها لم يزل على خصومته مع الرسول ﷺ فذلك طبع اليهود الخبيث ، ولؤمهم الخسيس الذي جبلوا عليه ، وفطروا على الشر والكيد ، والحقد ، والحسد ، والنفاق ، وعداوة المسلمين ، ورسول رب العالمين ، ولقد نبه القرآن إلى خطرهم ، ووصفهم بأوصافهم التي فطروا عليها ،ولا تبديل لخلق الله .وقال الرسول ﷺ :ما خلا يهودي بمسلم قط إلا همّ بقتله .

وزواج الرسول ﷺ بهذه المرأة يحمل معه حكمة عالية ، لا يدركها إلا ذووا الألباب .

فاليهود ، هم ، هم ، في صفاتهم وعداوتهم ، وعنادهم ، وكفرهم ، ومع هذا ، وفوق كل هذا ، فالرسول ﷺ لا يمكن ان يتجرد من طبيعة الخير والاحسان ، التي فطر عليها ، فهو يحسن إليهم ، ويدعهم في خبثهم ، ولؤمهم ، وإساءتهم ، ينطوون على أنفسهم ، إذا لم يجدوا منفذاً للطعن بالاسلام وبأصحابه ورسوله الأمين ، عافانا الله من شر هذه الطائفة الضالة ، وهدانا بهدي الاسلام الذي نبهنا قبل أربعة عشر قرناً إلى خطرهم وضلالهم ، وكفرهم ، وعداوتهم لنا ، ولكننا لم نأخذ بوصية القرآن وتحذيره لنا من شرورهم ، وغفلنا عن ديننا ، ونسينا ربنا وشغلتنا أموالنا ، وأهلونا ، ومطامعنا فكان ما كان من شأننا معهم قاتلهم الله ، وأذلهم وجعل عاقبة أمرهم خسراً . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ميمونة بنت الحارث

« الهلالية »

رضي الله عنها

وفي أواخر السنة السابعة للهجرة تزوج النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالسيدة « **ميمونة بنت الحارث** » وجرى هذا الزواج المبارك بمكة المكرمة في إبان عمرة القضاء.

وهذه المرأة هي آخر امرأة تزوجها الرسول ﷺ ، وكانت زاهدة عابدة ، وقد قالت فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : أما انها كانت من اتقانا لله ، وأوصلنا للرحم .

وفي غزوة تبوك كانت ميمونة في صفوف المجاهدين ، تسعف الجرحى ، وتواسي المرضى ، وتجاهد في سبيل الله حق الجهاد .

ويقال بأنها رضي الله عنها أول امرأة ألفت فرقة نسائية لاسعاف الجرحى ، والقيام بواجبات المجاهدين في سوح الكرامة والشرف ، ولقد أصابها في جهادها سهم من سهام الأعداء وهي

تحمل الماء للمصابين ، فكاد يقتلها لولا عناية الله ولطفه .

وميمونة هذه أخت لبابة الكبرى ، زوجة العباس رضي الله عنه عم النبي ﷺ ،وخالة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

قال العلامة المرحوم السيد محمد رشيد رضا : « ورد أن عم النبي العباس رغبه فيها وهي أخت زوجه لبابة الكبرى أم الفضل ، وهو الذي عقد له عليها باذنها ، ولولا أن العباس رأى في ذلك مصلحة عظيمة ، لما عني به كل هذه العناية لارضاء إمرأته » وفعلاً كانت المصلحة في هذا النكاح المبارك فقد تقرب النبي الرحيم إلى الهلاليين قومها فأكبروا في الرسول هذه المروءة ، والحمية ، والنجدة ، ثم أقبلوا يدخلون في دين الله أفواجاً ، وآزروا الرسول ونصروه ،وساروا معه صلى الله عليه وسلم حيث سار . وحينما تزوج الرسول ﷺ بهذه المرأة ، كانت قد بلغت من الكبر عتياً .

فهل تجد أيها القارىء الكريم أثراً للهوى أو الشهوة في مثل هذا الزواج الكريم إنه الفضل والمروءة ، والبر والاحسان ، والعطف ، والرحمة ، والسياسة ، والكياسة ، كل ذلك دعاه ﷺ الى مثل هذا الزواج النبيل ، الذي دل على بعد نظر الرسول ، وسمو قصده ، وجميل احسانه بالمؤمنات صلوات الله وسلامه عليه .

ولو لم يكن هذا مراده ، وتلك غايته ، فما كان أغناه عن مثل هذا الزواج ، بمثل هاته الثيبات المكتهلات ومـــا أكثر النواهد والابكار في قومـه وعشيره ، ولو أن للهوى والشهوة أثراً في زواجه ﷺ بمن تزوج بهن من النساء ، وكلهن أرامل – غير عائشة – لاستعاض عنهن بالكواعب والأتراب ، ومـا أكثر الذين يودون مصاهرتـه ﷺ وهو الحبيب الى كل قلب ، المحترم من كل نفس ، المعروف بالأمانة ، والموصوف بصفـــات الكمال والنجابة ، الفطن الذكي الشريف الأبي . ولكنـه ﷺ أسمى من أن يتزوج استجابة لداعي الهوى ، وأعلى ، وأكـبر ، واجل من ان يقترن اشباعاً للشهوة .

فحاشاه ثم حاشاه ، ألف ألف مرة مما يقول المرجفون ، فهو ﷺ النبي المعصوم ، والرسول الذي كمله الله ، وختم بـه النبوات والرسالات ، وأنى لخاتم الأنبيـــاء والرسل ان يوصف بمثل هذه الصفات وهي صفات نقص ، والرسول عليـه الصلاة والسلام قد رباه الله وجعله الانسان الكامل ، والمثل الكامل في الوجود وشهد فيه بقوله: «وانك لعلى خلق عظيم».وقال تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » .

صدق الله العظيم

الخاتمــة

قال الله تبارك وتعالى : « وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقاً » لقد ظهر الحق جلياً واضحاً لكل ذي عينين ، وبطل ما كان يقوله : المنافقون ، والمبشرون الأفاكون وغيرهم .

فالرسول الأعظم ﷺ إنما راعى في زواجــه بالزوجات المختلفات ، مصلحة الدين ، والتشريـع ، وقصد تأليف القلوب فجذب اليه بهذه المصاهرات كبار القبائل وكرام الناس والعشائر .

وعلم الناس كيف يجب ان يكون احترام النساء واكرامهن ، والعدل بينهن ، والرحمة والشفقة بهن ، وقد كان لكل زواج – كما بينا – ظرفاً سياسياً ، أو غرضاً دينياً شريفاً ، أو هدفاً اجتماعياً رمى اليه الرسول ﷺ فأصاب .

لقد قضى الرسول ﷺ الفترة الأولى من حياتـه وهي فترة العزوبة بطهر ، وعفاف ، وشرف ، ولم يستطع أعداؤه الذين خاصموه بعد النبوة ان يذكروا حادثة واحدة تمس شرفـه وكرامته بل لقب بينهم بالأمين وعرف بينهم بالطاهر ، ولقد أدبه الله فأحسن تأديبه .

قال المسيو « ميور » في كتابه « حياة محمد » : « ان جميع المراجع التي بين أيدينا متفقة في وصف محمد في شبابه بأنـه كان محتشماً في سلوكه ، طاهراً في آدابه النادرة بين أهل عصره » .

قضى الرسول ﷺ خمساً وعشرين سنة من عمره السعيد في هذا الوقار والاحتشام ، الذي يشهد به حق غير المسلمين .

ثم جاء الدور الثاني الذي تزوج فيه بخديجة الكبرى رضي الله عنها وقد كان عمرها أربعين سنة – كما بينا – ومكث معها ﷺ ستاً وعشرين سنة ولم يتزوج عليها أبداً . حتى ماتت رضي الله عنها وكان قد بلغ عمر الرسول عليه الصلاة والسلام واحداً وخمسين سنة ، قضاه مع زوجة واحدة ، ثم تزوج بأم المؤمنين سودة بنت زمعة وهي طاعنة في السن ومكث معها وحدها ما يقرب من ثلاث سنوات .

فيكون ﷺ قد أمضى ما يقرب من أربع وخمسين سنة من حياته الشريفة في العزوبة والزوجة الواحدة فقط .

وأما بقية الزوجات فكلهن تزوج بهن المصطفى عليه الصلاة والسلام في الفترة التي بدأت فيها الحروب بين المسلمين والمشركين، وكثر فيها القتل والقتال ، وهي من السنة الثانية للهجرة إلى السنة الثامنة التي تم فيها النصر للمسلمين بفتح مكة المكرمة واستخلاصها من أيدي المشركين .

ومن المعروف أن في زمن الحروب يكثر قتل الرجال وهم عماد الأسر . فتترمل النساء ، وتيتم الأولاد ، ويغدون ولا عائل لهم ولا كافل ولا معين .

وقد رأينا مواقف شريفة لرسول الله ﷺ في هذا الظرف العصيب ، لقد لطف بالنساء المترملات وأحسن اليهن وكفل ابناءهن اليتامى وتزوج منهن بهذا العدد ليخفف من ويلات الحرب والغزو ، وليرحم عزيز قوم ذل ، وغني قوم افتقر ، وليترك من بعده نساءه أمهات المؤمنين ، ليكن مدارس لتعليم الناس أمور دينهم ، وقد ترك الرسول ﷺ من بعده تسع

امهات للمؤمنين يعلمن النساء أحكام الدين ، ويفتين الرجال في كثير من المسائل ، ومن المعلوم أن زوجة واحدة لا يمكن أن تقوم بما قامت به هذه الزوجات المتعددات. وفي كل زواج ظهر لنا الدليل الساطع على سمو ونبل خلق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبرز البرهان القاطع لكل قول منكر ، وبانت للعالم نوايا الرسول ﷺ الطيبة وأهدافه العالية من تعدد الزوجات وقد كان ﷺ المثل الكامل والقدوة الصالحة للرجال في كيفية معاشرة الزوجات بالمعروف ، والقسمة بينهن بالعدل في المبيت ، والنفقة ، واللطف والتكريم ،والاناة والرفق والموعظة الحسنة ، ومن سمو خلقه عليه الصلاة والسلام أنه كان يخدم في بيته ويقضي حوائجه بيده الشريفة .

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة له ولا خادماً قط » .

وسئلت رضي الله عنها : ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة (١) .

---

(١) رواه البخاري

ومن وصف عائشة للنبي ﷺ انها قالت : « كان ﷺ ألين الناس ، وأكرم الناس، وكان رجلاً من رجالكم إلا انه كان بساماً » رواه ابن سعد .

فليقرأ الناس أسباب تعدد زوجات النبي الأعظم ليزيلوا من أذهانهم ما تركته فيها الثقافة الاستعمارية ، والسموم التبشيرية من شكوك وريب ، ودس وكيد للاسلام ونبي الاسلام ، وليدحضوا حجج المفترين الباطلة ويقولوا للناس ان النبي الأعظم والرسول الأكرم أسمى من أن تصل اليه سهامكم الطائشة ،وهو البدر المنير في سماء الخلود .

وليقرأ الرجال سيرة الرسول ﷺ ليعلموا كيف كانت معاشرته مع زوجاته ، ولينه ، وعطفه ، وتكريمه لهن ، واحسانه اليهن رضوان الله عليهن أجمعين . وليترك الأزواج الغلظة والفظاظة التي يعاملون بها زوجاتهم وليقتدوا بأكرم الرسل ، وسيد العالمين ، وليدرسوا حياته المنزلية السامية ، ومعاملاته في بيوته الكريمة فعسى ان يكونوا من المهتدين .

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المهتدين بهدي محمد ﷺ

والمقتفين لآثاره ، والسائرين على نهجه القويم ، وصراطه المستقيم ، وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه تعالى .

« ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين »

« والحمد لله رب العالمين »

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ، وصحبه، وأزواجه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

تم الكتاب بعونه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظات هامة

« حول الطبعة الأولى »

عندما صدرت الطبعة الأولى من كتابي هذا «**زوجات النبي الطاهرات**» في بغداد سنة ١٣٦٩ هـ سنة ١٩٥٠ م أبدى بعض القراء ملاحظات حول الكتاب، وكنت قد أجبتهم عليها في حينها ووعدتهم بأنني في الطبعة الثانية سأسجل بعض هـــذه الملاحظات لأنها جديرة بالعناية وهاأناذا أقدمها للقراء في طبعة الكتاب الثانية راجياً أن تتم بها الفائدة والله الموفق.

١ – الملاحظة الاولى : حول « **مارية القبطية** »

وهي اني لم أعدها في سجل زوجات النبي الطاهرات وهي أم ابراهيم رضي الله عنها وعنه فأجبت السائل بما يأتي : عندما كتب الرسول الأمين ﷺ الى الملوك يدعوهم الى الاسلام كتب

الى المقوقس ملك مصر والاسكندرية وأرسل كتابه مع حاطب ابن ابي بلتعة وبعد قراءة المقوقس لكتاب رسول الله ﷺ وسؤاله حاطب بعض الأسئلة أعجب به وقال : إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ، ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة ، بإخراج الخبء والأخبار بالنجوى وسأنظر . وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في « حُق » من عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب الى رسول الله ﷺ .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو اليه ؛ وقد علمت أن نبياً بقي ، وكنت أظن انه سيخرج بالشام ، وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة واهديت لك بغلة لتركبها ، والسلام عليك ».

والجاريتان هما : مارية وسيرين .

ولما وصلت الهدية الى الرسول قبلها ، ودخل بمارية القبطية على انها جارية ، ومملوكة ملك اليمين ، ولم تكن بالزوجة . ثم

جاءت بابراهيم فأصبحت أم ولد ، وأم الولد في الشريعة لا يجوز لمالكها بيعها ولا تمليكها. ولمالكها وطؤها واستخدامها واجارتها وتزويجها ،لا يثبت نسب ولدها إلا إذا اعترف به مولاهـــا ومالكها،وهي تختلف عن الزوجة اختلافاً كبيراً قال اللهتعالى: **« والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم ، فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » .**

وقد فرق القرآن بين الزوجة ، وبين المملوكة ملك اليمين . ولما كان كتابي هذا مختصاً بزوجات النبي الطاهرات لذا لم أذكر فيه في الطبعة الأولى مارية القبطية في جـــدول أزواج النبي رضوان الله عليهن ولم أتكلم عنها لهـذا السبب ولكني رأيت الملاحظة وجيهة وجديرة بالاهتمام لذا سجلتها وأبنت مـــا ورد فيها راجياً منها الافادة للقراء .

٢ – <u>الملاحظة الثانية هي</u> : عدم ذكري لاسم زوج خديجـــة الكبرى قبل الرسول ﷺ . وعدم ذكر زوج ميمونـــة بنت الحارث قبل الرسول ﷺ .

وأنني لم أذكرهما لوجود الخلاف فيهما وعدم الاتفاق عليهما.

ولا احب أن أشرح موضوعاً خلافياً في مثل هـذا الكتيب الصغير . ومع هذا فأنني أنقل ما ورد فيها من قول :

١ – جاء في كتاب الاصابة في تمييز الصحابـة لابن حجر جز ٤ ص ٢٧٣ حرف الخاء :

«**خديجة** » بنت خويلد بن أسد بن عبـد العزى بن قصي القرشية الأسدية . زوج النبي ﷺ . وأول من صدقت ببعثته مطلقاً . قال الزبير بن بكار : كانت تدعى قبل البعثة بالطاهرة وأمها فاطمة بنت زائـدة قرشية من بني عـامر بن لؤي . **وكانت عند أبي هالة** بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي أولاً. ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . ثم خلف عليها رسول الله ﷺ . هـذا قول ابن عبد البر ونسبه للأكثر . وعن قتادة عكس هذا . وهو ان أول أزواجها عتيق ثم أبو هالة . ووافقـه ابن اسحق في روايـة ابن يونس بن بكير عنه وكذا في كتاب النسب للزبير بن بكار لكن حكى القول الأخير أيضاً عن بعض **الناس** ، انتهى .

– أما اسم زوج أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث فقـد جاء في نفس المصدر أي كتاب الإصابة جزء ٤ ص ٣٩٧-٣٩٨ حرف الميم :

: **ميمونة** » بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت أم الفضل لبابة . كان اسمها « **برة** » فسماها النبي ﷺ « **ميمونة** » . وكانت قبل النبي ﷺ عند أبي رهم بن عبد العزى بن عبدود ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري . **وقيل عنه** سخيرة بن ابي رهم المذكور . **وقيل** عنه حويطب بن عبد العزى وقيل عنه فروة أخيه ، انتهى .

٣ – الملاحظة الثالثة :

لقد ذكر صاحب كتاب العقد الفريد في الجزء الثالث في باب « **زوجات الرسول** » اسماء زوجات لم أذكرهن انا في مؤلفي هذا ، والسبب هو انهن لم يكن زوجات بالمعنى الذي قصدته في الكتاب عندي،فمن لم تكن زوجة ذات قرار مكين عند الرسول ﷺ لم أهتم لذكرها اختصاراً للموضوع وعدم وجود الفائدة المرجوة في مثل هذا التوسع . والى القراء الزيادة التي جاءت عند صاحب العقد الفريد في أسماء من بنى بهن من الزوجات ومنهن من طلقهن قبل الدخول .

١ – **خولة بنت حكيم** : وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ .

٢ – وتزوج امرأة يقال لها « **عمرة** » فطلقها ولم يبن بها وذلك ان أباها قال له : وأزيدك انها لم تمرض قط . فقال النبي

ﷺ : ما لهذه عند الله من خير فطلقها .

٣ – وأميمة بنت النعمان طلقها قبل أن يطأها .

٤ – وخطب امرأة من بني مرة بن عوف فردها لأبيها وقال : ان بها برصاً . فلما رجع إليها وجدها برصاء .

هذا كل ما أبداه القراء من ملاحظات حول الكتاب في طبعته الأولى وأرجو ان يكون في طبعته الثانية قد استوفى رغبات أصحاب هذه الملاحظات جزاهم الله كل خير ونال منهم ما يستحق من رضا وتقدير ولعلنا نحظى منهم بدعوة صالحة ندخرها ليوم الحساب . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله رب العالمين .

الموضوع